آمديو تشنشيني

أثق ... فأقرر

التربية على الثقة في اختيار الدعوة

نقله إلى العربية
الأب ألبير هشام نعّوم

بغداد ٢٠١٦

صدر هذا الكتاب باللغة الإيطالية تحت عنوان:

Amedeo Cencini

Mi fido… dunque decido

Educare alla fiducia nelle scelte vocazionali

© Paoline Editoriale Libri, Figlie di San Paolo, 2009.

مقدمة المترجم

كانت فرحتي لا توصف عندما التقيتُ الأب آمديو تشنشيني في جامعة الآباء السالزيان بروما بتاريخ ٢٩ نيسان ٢٠١٥، لأرى أمامي إنسانًا متواضعًا، يحملُ روحًا مسيحية حقيقية. لم يدم لقاؤنا سوى دقائق معدودة، إلا أنه طبع فيّ كلّ كلماته التي قرأتها في كتبه.

قبل أن أنتهي من ترجمة كتّيبه هذا "أثق... فأقرر"، راسلتُه عبر البريد الالكتروني وطلبتُ منه أن يكتب مقدمة للترجمة العربية، وكم كانت فرحته كبيرة أن يكتب لشباب العراق، أبناء ابراهيم أبي المؤمنين، كلمة تشجيع على الثقة بربّنا وبمحبته.

وأنا أقدّم ترجمة كتيّبه هذا اليوم، بعد أن ترجمتُ له كتّيب "إله حياتي"، هدية إلى الشباب العراقي المسيحي في كلّ مكان، وإلى كلّ شاب يبحث عن معاني الاختيار والثقة والقرار في حياته، وإلى كلّ من يبحث عن معنى حياته خاصّةً وسط الظروف الصعبة والمأسوية.

الأب ألبير هشام

مقدمة الترجمة العربية

بامتنانٍ وتأثر أكتب إلى قرّاء اللغة العربية في العراق، وخاصّة من يقرأون كتابي هذا الموجّه إلى الشباب.

عندما أبلغني الأب ألبير أنه يترجم كتّيبي هذا إلى اللغة العربية، أعترف بأني شعرتُ بنوع من الرهبة: العراق، أرض ابراهيم أبينا في الإيمان، الأرض التي يصعب اليوم أن نعيش ونؤمن فيها كمسيحيين، أرض الصراعات التي لا زالت تقسّم وتدّمي...

وراودني فورًا هذا السؤال: ماذا يمكنني القول لشابٍ عراقي، وُلِد وتربى في تلك الأرض، فكلماتي وتأملاتي مرتبطة بمحيط ثقافي واجتماعي مختلف تمامًا؟

يتكلم هذا الكتيّب عن الثقة والترك والإتّكال، وعن شجاعة الاختيار إلى الأبد، مع ما يحمله من خطورة في النهاية. يتوجّه إلى شباب عليهم أن يقرروا مستقبلهم بأنفسهم، في عالم لا يقدّم أي معيار للاختيار ويميل إلى منطق عدم الاختيار أبدًا أو تأجيل قراراته إلى ما لا نهاية. ولهذا فهو عالم بحاجة أكثر من أي وقتٍ مضى إلى أشخاصٍ أحرار في الاختيار، شجعان بكفاية ليراهنوا

على مستقبلهم، مؤمنين تعلّموا عيش إيمانهم بثقة في الله أولاً، وفي أنفسهم وفي الحياة وفي الغد أيضًا...

وهنا بدأ سؤالي يجد الإجابة: صحيح أن المحيط التاريخي والثقافي مختلف، إلا أن الإنسان هو نفسه، بمخاوفه وقوته، بادّعائه بأخذ كلّ شيء في الحسبان، ورغبته في تسليم ذاته إلى الأبد. فهو أمام المسؤولية ذاتها: الحياة هبة، فثقْ بذلك الذي وهبها لك، الحياة لك، تعتمد عليك ماذا ستفعل بها، ولكن تذكر شيئًا مهمًا أن الإنسان خُلِق ليسلّم ذاته إلى آخر، لا تستطيع الامتناع عن فعله أو الادّعاء بعدم الاتّكال على أحد، فهذا قانون طبيعي.

كم مرة وُجِد ابراهيم، من أور الكلدان في ما بين النهرين، أمام اختياراتٍ صعبة: تركُ أرضه والسير نحو أرضٍ مجهولة، الإيمان بوعد مستحيل من إلهٍ مجهول، الطاعة لوصية مفاجئة لا بل قاسية!

لكنه أصبح أب المؤمنين ليس لأنه آمن فحسب بل لأنه وثق أيضًا، ليس لأنه اختار فحسب بل لأنه شعر قبلاً أن الله اختاره، ليس لأنه أطاع فحسب بل لأنه فهم أنّ في

تلك الكلمة يختفي سرّ سعادته، ووثق بهذه الكلمة فسلّم ليس حياته فحسب بل حياة ابنه اسحق أيضًا.

أنا أيضًا ابن ابراهيم وأريد أن أتعلّم إيمانه وثقته.

هذا الكتيب امتنانٌ متواضع لأبينا في الإيمان، وهو صلاة لكيّ يعلّمنا هذا الأب الكبير وينقل لنا شيئًا من روح الترك، ومن رجائه ضدّ أي أملٍ آخر، ولكي يختار الشباب العراقيون كلّهم طريق السلام والمصالحة وبناء الثقة المتبادلة.

لذلك يسعدني أن يصل هذا الكتّيب إلى العراق أيضًا، وكأنه يصل إلى جذوره حيث هناك وُلِد إيماننا جميعًا وحيث وُلدنا جميعنا أيضًا. وهناك لا يزال الله اليوم يدعو ابراهيم.

آمديو تشنشيني

تقديم

"قلْ لي ماذا تختار، أقولُ لك من أنت"، هكذا تقول حكمةٌ شعبية قُدّمت في صيغٍ مختلفة لا حدّ لتنوعها (على سبيل المثال: "قلْ لي مع مَن تذهب، أو ماذا تقرأ، أو عن ماذا تتكلم، أو حتّى ماذا تأكل...، أقولُ لك من أنت"). لا زالت هذه الحكمة فعّالة اليوم، ولكنها تتسّم بخصوصية يصعبُ التحقق من وجودها في الواقع: أن يختار المرء شيئًا في أيامنا لا يسير مع المودا، فالخيارات الحقيقية قليلة، بل نادرة، خاصّة الصعبة التي تتطلب المساومة. ينمو اليوم جيلٌ من الشباب الذين يعيشون حساسيةً مفرطة تجاه القرارات، لأنهم أبناء مجتمع وثقافة يسيران في الخطّ ذاته ويعيشان في الحساسية ذاتها.

هناك من يقول، على سبيل المزاح ولكن بنوع من الجدّية أيضًا: لو كانت ولادة المرء خاضعة لاختياره فلربما كان الأحياءُ قليلين، أو سيحتاج إلى أكثر من تسعة أشهر ليخرج إلى النور، لأن الأغلبية ستقف في صفّ انتظار لا نهاية له (بانتظار أن تختار). وهناك بلا شكّ من ينتظر حياةً كاملة ليقرر أن يعيش أو لا (في خطر أن يولد عجوزًا)، بينما قد يولد آخر أكثر ذكاءً وتعجرفًا، أو

ربما يولد يائسًا أو غاضبًا على الحياة، يلوم مَن أتى به إلى العالم دون مناقشة الأمر معه أو أخذ موافقته.

إذا كان الأمر كذلك، من المنطقي أن نتوقع انتكاسة على صعد مختلفة، لكن القدرة على الاختيار تبقى حاسمة. فمثلاً في مجال اختيار الدعوة: بينما تُفهم الدعوة بالمعنى الواسع للكلمة، كقرار يعطي توجهًا دقيقًا لحياة المرء الشخصية، من وجهة نظر مثالية، أو على أساس معايير أساسية: أسلوب الحياة، الحالة الاجتماعية، المهنة، العلاقة العاطفية الخ، تُفهم الدعوة أيضًا كموضوع يخصّ المؤمن، كجواب على دعوة الله.

تنبع أزمة الدعوة من أزمة اختيار، من القدرة النفسية على الاختيار ؛ فقبل أن تكون مشكلة كنسية تخصّ المؤمنين، هي مشكلة تشمل المجتمع بأكمله، خاصّة مَن تشمله المشكلة شخصيًا أو يوجد في مرحلة من حياته تجبره على الاختيار ليقرر مستقبله، إذا أراد أن يكون عضوًا فعّالاً ومسؤولاً وليس مجرد مستهلك سلبي أو مستخدمًا مجهولاً للوجود. لا يوجد تعليم إن لم توجد أولاً مسيرة تنشئة تربّي على قدرة الاختيار.

إنه واجب عظيم يقع على عاتق المربّي الذي ينقل للشاب معنى الاختيار، معنى أن يكون مسؤولاً عنه، معنى الحرية كشرطٍ له، وفي العمق معنى سرّ الإنسان الذي يختار.

ناقش المؤتمر الدولي للدعوة الذي افتتح السنة الكهنوتية عام ٢٠٠٩ هذه المواضيع كلّها. وشارك في المؤتمر منشطون للدعوات جمعتهم الرغبة في معرفة سبب الحساسية في إتّخاذ القرارات، ولكنهم امتلأوا من الرجاء – في زمنٍ يصيبهم باليأس – للعمل في حقلٍ صعب، تنقص فيه غالبًا الثقة. كان عنوان المؤتمر: "أعلم في من وضعتُ ثقتي: اختيارات الدعوة بين المخاوف والثقة".

إن مؤتمرًا دوليًا كهذا لهو بحدّ ذاته علامة ثقة، من طرف من ينظمّه. وهو علامة أيضًا للعدد الكبير من الحاضرين والمشاركين فيه، فكانوا أوّل رسالة استلمها المؤتمر وأطلقها.

يقدّم هذا الكتيّب التقرير الختامي لهذا المؤتمر، بعد أن أُعيد النظر في صياغته بصورة معمقة بعد اللقاء نفسه، بفضل ردود فعل المؤتمرين.

أقدّمه هنا وآمل أن يكون بذرة ثقة لمنشطي الدعوات أو للشباب الذين يتساءلون عن الدعوة. ختامًا أقول إنّ اقتراحَ فكرةٍ معينة أو تأليفَ كتابٍ، صغيرًا كان أم كبيرًا، جيدًا أم سيئًا، يُعتبر فعل ثقة.

مقدمة

هناك مصطلحان استراتيجيان في عنوان هذا الكتيّب: ثقة واختيار (الدعوة). إنهما استراتيجيان في حياة كلّ إنسان، مؤمناً كان أم غير مؤمن، بطريقتين: سواء من جهة محتواهما وأسلوبهما، أو من جهة المسيرة التي تقود إليهما. سأحاول تناولهما بحسب الطريقة الثانية، أي بحسب مسيرتهما التربوية، مع إدراك البعد التربوي بصورته الصحيحة دون فصله عن طبيعته.

بلا وصفات

إنّ التربية، كفنٍ يعلّم الانفتاح على الحياة، وهي نتيجة طبيعية وحتمية لمسيرة المرء الشخصية، للقيم التي يؤمن بها وللقناعات التي يحملها في داخله. في حالة المؤمن، نستطيع القول إنّ فن التربية مرتبط بالحياة الروحية ولا يُفصل عنها أبدًا. وهذا الربط موجود حتّى عندما نطرحه من وجهة نظر الروحانيات ؛ إذ تتطلب الحياة الروحية بالضرورة بعدًا تربويًا، والروحانية التي لا تتحول إلى تربية، تصبح غير جدّية وغير موثوق فيها.

لابدّ من قول ذلك، ففي جوانب حياة الكنيسة المختلفة، يُفسّر البعد التربوي العملي اليوم وكأنه مفصول عن البعد الروحي (لاحظ من جهة بعض الممارسات الراعوية، ومن جهة أخرى طريقة التفكير – على سبيل المثال – في المشروع الحضاري الشهير[1]، وقد يبقى حضاريًا من الناحية النظرية فقط ولعددٍ قليل من المدعوين لتحقيقه). وكنتيجة يُفهم البعد التربوي كمجرّد منهجية أو تقنية مقلِّدة أو مشتقة من أفكار آيديولوجية، ومن جهةٍ أخرى، ومع الأسف، لا يزال التقليل من قيمته مستمرًا، وكأن ما هو مهم ونبيل يبقى نظريًا أو لاهوتيًا على أعلى المستويات، ويبقى المجالُ لتطبيقه قليلاً.

تأمل ضروري

في الوقت ذاته، لا يمكن اعتبار هذه العلاقة الوثيقة بين اللاهوت والتربية من الأمور البديهية ؛ فالتطبيق التربوي لفكرةٍ لاهوتية يتطلب جهدًا وتأملاً دقيقًا للوصول

[1] المشروع الحضاري في الكنيسة الايطالية، أطلقه الكردينال كاميليو روبني عام ١٩٩٤، لتثبيت حضور الكنيسة في حضارة البلاد من خلال بناء نظرة عن العالم المسيحي تدرك جذوره ومبادئه حول أمور حيوية وتثق بإمكانياته في الحوار مع العالم المعاصر (المترجم)

إلى الأدوات التربوية والتعليمية المناسبة للفكرة اللاهوتية. فأفضل لاهوت (أو روحانية) لا يأتي انطلاقًا من أفضل تربية أيضًا. لذلك لا يعني كثيرًا المبدأ الذي يعطي الأهمية لأن نكون بشرًا روحانيين، أو نمتلك أفكارًا لاهوتية واضحة ومتميزة، وكأن الباقي يأتي من ذاته. ومن الضروري أن يشخّص الإنسان الروحاني الخطوط التربوية التي تعبّر عن غنى أبعاد الإيمان، أو المسارات التي يرافق فيها من ينفتح على الإيمان، ويشقّها انطلاقًا من آفاق الإيمان نفسه، وهذا يتطلب جهدًا منه. من وجهة النظر هذه، الإنجيلُ مثالٌ لا مثيل له.

فمن جهة، لكي تُعلن الروحانية الحقيقية وتصل إلى الجميع، عليها أن تتحول إلى تربية. وهذا التحول يتطلب مسيرة في مراحل تدريجية، لها أهداف وسيطة ومسارات خاصّة الخ. من جهة أخرى، ليست التربية أختًا فقيرة للاهوت، بل تؤكده وتجسّده، فهي كلّ ما يُدعى المرء للتفكير فيه انطلاقًا من خبرته الروحية، أي ما يقرأه من داخله. لذلك لا ننتظر وصفة جاهزة، بل على كلّ واحد أن يعيد النظر في نوعية خبرته كمؤمن، كمكرس أو مكرسة أو ككاهن، ليسأل كم باستطاعته استخراج ما يتوافق معها من تربية. وعليه أن يسأل أيضًا إن كان

متعودًا على هذا النوع من التفكير الذي يستخرج نموذجًا للتربية من التأمل بالروح.

بهذا المعنى نستطيع القول إن تنشيط الدعوات وطريقة القيام بها، يكشف عن العالم الداخلي للمنشّط، عن الإنسان الروحي والجدّية التي يعيش بها حياته الداخلية وتنشئته الدائمة. كم سنة علينا أن ننتظر لكي يتكرّس الكاهن أو المؤمن أو أي مكرّس آخر للاهتمام بالدعوات، من دون أن يُوكل إليه أيّ منصب إداري من رؤسائه؟ كم علينا أن ننتظر كي يُفهم تنشيط الدعوات كتعبيرٍ طبيعي وسلس ومدروس بطريقة ذكية، عن الحياة الروحية والدعوة الشخصية والجمال الذي يلفّ خبرة المرء مع الله؟

بعد هذا التوضيح، نستطيع الآن الانتقال إلى العلاج الحقيقي لموضوعنا.

الثقة

ننطلق من أولى الكلمتين اللتين عرّفناهما بالاستراتيجيتين: الثقة في اختيار الدعوة. هدفنا أن نزوّد منشّط الدعوات الفقير ببعض اشارات الطريق المفيدة، خاصّةً وأنه يُجرَّب أحياناً بكلّ ما يضادد الثقة.

تبدو الثقة في واقع اليوم، وفي الحضارة المعاصرة، كقيمة في طريقها نحو الانقراض، وغيابها يولّد أزمة على أصعدة مختلفة: من الأسواق المالية إلى الحكومات السياسية (التي تطلب الثقة من دون أن تستحقها أحياناً)، من الشباب في مواجهتهم مع الأكبر منهم والبالغين في مواجهتهم مع الشباب، من الكهنة الذين يعانون من أزمة في رسالتهم إلى الأزمة التقليدية لمنشّط الدعوات المتمثلة في اكتساب ثقة الآخر، وفي التساؤل: لماذا لا يملك ثقةً كبيرة في نفسه أو في عمله، أو لماذا لا يشتمّ رائحة الثقة في محيطه، أو لماذا تُعطى له من رؤسائه بشروط (الثقة المشروطة تشبه الحرية المعطاة لمتّهمين!)، أي بناءً على النتائج أو على عدد الدعوات التي استطاع كسبها. فأي ثقةٍ هذه؟ فلنفكر كيف يستطيع هذا اليائس أن يعطي الثقة لشاب لكي يختار دعوته بصورة صحيحة.

ولأن الثقة لا تُنقل اوتوماتيكيًا، من الضروري التفكير فيها وفي حيويتها وجذورها وتطورها.

مكونات وخصائص

الثقة بالمعنى العام موقف داخلي، معقد وبسيط في الوقت ذاته، طريقة للنظر إلى الذات والعالم والآخرين والله، مثل إدراك أو حدس إيجابي داخل أو حول الذات، مرتبط بي وبالآخر، بشيء جميل وطيب يجذبني، أشعر بإمكانية الوصول إليه، بحقيقة أشعر أنها تقترب مني وتقبلني.

ولكن نجد خصوصية الثقة بصورةٍ أفضل في الفعل "أثق" الذي يعبّر عن خمس مواقف أو أحاسيس جوهرية:

واثق من حبّ

في بداية الثقة هناك الحبّ، خبرة حبّ قوي وأمين، وباختصار: نحن نثق بأننا محبوبون. كلما كان هذا اليقين قويًا، ستكون الثقة قوية. هذه الروح الإيجابية التي تكلمنا عنها أعلاه، تولد هنا وترسخ جذورها في شعور اليقين والاطمئنان بأني تلقيتُ حبًّا في الحياة ملأ قلبي وأشبع

انتظاراتي ورغباتي التي أحملها في داخلي وهي أقوى من شدائد وتناقضات الحياة، ويعطيني الشجاعة لأواجه المستقبل وأقوم باختياراتي بهدوء. هذا اليقين يجعل المرء مستعدًا بصورة إيجابية لمواجهة الواقع ويتعامل معه مسبقًا بتفاؤل ذكي.

ولكننا لا نتكلم هنا عن يقين سلبي، بل عن أمر حيوي ومغامر، أي اليقين باقتبال حبّ يعطي حبًا بصورة تلقائية. النوعان من اليقين يجعلان المرء حرًا من الناحية العاطفية (حر في تقبل وإعطاء حب دون البحث عن الذات)، وكلاهما يعطيانه الثقة في نفسه وفي الآخرين.

موقف شامل

هذه الثقة المرتبطة بخبرة الحبّ، يُعبَّر عنها في مزيج من إدراكات إيجابية: نحو الأنا ونحو الآخر (ونحو الله)، نحو الواقع العام ونحو ما هو أمامي ويجذبني (مثلاً اختيار نوع الحياة). المهم أن تخالج المرءَ هذه المشاعر سويةً، فالثقة الحقيقية موقف شامل وكوني. لو لم يثق المرء ولو قليلاً، بصورة علنية أو ضمنية، بنفسه وبقدراته، بالآخرين وبإحساس الاحترام لديهم، بالأرض وخصوبتها، بالله الذي يغذّي ويخصب الأرض، لما نبتت

أبدًا شجرة ولا زُرِعت وردة. هكذا لو لم يثق الأبوان الواحد بالآخر، ولا بالحياة التي حولهما ولا بالله مانح الحياة، فلن يكون لديهم أبدًا أطفال.

أبعد من سيطرة العقل

في عملية الثقة بالنفس هناك أيضًا إدراك لشيء ليس في يد صاحبه تمامًا، بل يفلتُ في جزء منه من سيطرته (كما يُوضع المرء أمام اختيار مستقبله الذي لا يعرفه بوضوح، أو عندما يمسّ الاختيار شخصًا آخر). إنه شيء لا يُبرر تمامًا بالعقلانية، بل يمثّل هدفًا صعب الوصول على قدرات الشخص الذاتية، غير قابل للتحقيق في منظور المستقبل (أروع مثل هو مريم أمام الملاك الذي يبشّرها بخطة الله "المستحيلة" لحياتها).

منح أمان وإقامة رهان

الثقة تعني منح الأمان للآخر، وثقتي فيه تعني تسليم ذاتي له وتركها بين يديه، كما يحدث في الزواج أو في الصداقة. ولكن العشق ثقة بصورة خاصّة وعلى أعلى

المستويات، وهكذا أيضًا الإيمان هو "فعل" ثقة، والطفل الذي يثق بأمّه هو أوضح مثال[٢].

تشبه الثقة رهانًا، أو ضربة رأس خطيرة، مثل بطرس الذي يلقي بالشباك من الطرف المقابل للسفينة

---

[٢] كما تروي هذه الحادثة: بقي طفلٌ وحيدًا في الطابق العلوي، وحدث فجأةً حريقٌ كبير في البيت. فوقفت الأم خارجًا مرتعبة، تصرخ وتطلب من ابنها أن يرمي بنفسه من النافذة إلى القماش المتين الذي يمسكه رجال الإطفاء. سمع الطفل مرتعبًا صوتَ أمّه ولكنه لم يستطع أن يراها من كثافة الدخان، ولم يمتلك الشجاعة ليقرر لأنه كان خائفًا أن تلتهمه النيران. إلى أن غريزة الأمومة منحت المرأة الكلمات المناسبة، فعندما قال لها الابن بيأس: "أمي، أنا لا أراكِ"، صرخت الأم: "ولكنني أراكَ...". فرمى الطفل بنفسه بعيون مغلقة واثقًا بنظرة أمّه، وكأنّ نظرتها أصبحت طيارًا منعه من الوقوع في الأرض فأنقذه... وفي هذا الصدد يقول كيركغارد (فيلسوف مؤمن): "الإيمان يعني البقاء على حافة هاوية مظلمة، وسماع صوتٍ يصرخ: ارمِ بنفسك، سآخذك بين ذراعيّ!"، ويعلّق برونو فورتي (لاهوتي إيطالي): "وعلى حافة الهاوية هذه تراود الإنسان أسئلة مقلقة: ماذا لو كانت صخرةٌ تمزقني بدلاً من ذراع تستقبلني؟ ماذا لو وُجِدَ مع الظلمة ظلامُ العدم؟ الإيمان يعني مقاومة وتحمّل ثقل هذه الأسئلة: لا نتوقع علامات، بل نقدّم علامات حبّ للمحبوب غير المرئي الذي يدعو (الله)". فالثقة هي أن ترمي بنفسك.

B. Forte, *Piccola introduzione alla fede*, San Paolo, Cinisello B. 1992, pp 18-19.

واثقًا من كلمة الربّ، وكأنه يراهن عليها. كذلك اختيار الدعوة رهان لا يأخذه المدعو مع ذاته بل مع الله.

حرّ وضروري

الثقة من جهة فعلٌ حرّ، إذ ليس فيها أيّ إكراه، بل من يثق يذهب أبعد من التعقّل (وأحيانًا المنطق)، وكأنه يتحدى المستحيل بقوة ثقته. من جهةٍ أخرى، من الطبيعي أن يثق الإنسان بنفسه ولابدّ له من ذلك... في كل اختيار، هناك دومًا جزء لا يخضع لسيطرة المرء بل تقوده فيه الثقة. على الإنسان أن يسلّم ذاته لشيء أو لشخص، بل يمكننا القول إنه خُلِق ليترك ذاته للآخر، لشيء أو لشخص يقرره هو، ولابدّ له من ذلك[٣]. وإذا قرر ألاّ يعطي ذاته (أكتفي بذاتي)، يصبح متعلقًا لا محالة بشيءٍ هو نفسه يجهله.

من هذه الفكرة نستنتج أن فعل الثقة يجمع عناصر عديدة تبدو متناقضة: فمثلاً إنه فعل إنساني طبيعي وعميق، ولكنه جوهري لفعل الإيمان (كثيرون يؤمنون

---

[٣] هذا ما يقوله راهنر (كاهن لاهوتي ألماني): "الإنسان يثق بالضرورة بالآخر وهو مجبر بالضرورة على القيام بذلك":
K. Rahner, *Che significa amare Gesù*, San Paolo, Cinisello Balsamo (Milano) 1983, p. 13.

ولكنهم لا يثقون، ولكن الإيمان الحقيقي هو لمن يثق). إنه أيضًا فعل شخصي ومتعلق بأمورٍ أخرى، ولكنه حرّ وضروري في الوقت ذاته.

أوجه التشابه والاختلاف، الارتباط والعلاقات

قلنا إن الثقة تأتي من الحبّ، من اليقين بكوننا محبوبين، وتسير بنا نحو الحبّ، فهي أفضل دليل على الحبّ.

يمكننا أن نعتبر الرجاء الأخ التوأم للثقة، لكن مع فرق مهم. فكلاهما يعبّران عن جانب إيجابي في موقف الإنسان العميق، عن التفاؤل الذي يأتي خاصّةً من الإيمان، وكلاهما يعبّران أيضًا عن الموقف المنفتح على المستقبل. ولكن في الوقت الذي ينتظر فيه الرجاء، بنوع من الاتكالية أحيانًا، تحقيق رغبته (أو حلمه)، تتضمن الثقة الاستعداد الداخلي والحيوي ليترك المرء ذاته ويسلمها للآخر وللحياة ولله. ومع ذلك، هناك تواصل بين هذين الموقفين الفاضلين.

تقودُ الثقة إلى الشجاعة، والشجاعة بدون الثقة تصبح خطرًا وتهورًا. أما الثقة بدون الشجاعة ستكون فقيرة ووهمية أي مجرّد طموحات. فلنقل إنّ الشجاعة هي الثقة التي تتحول إلى فعل جريء وبها يتجاوز المرء ذاته.

وعلى العكس، تعارض الثقة سلسلة من المواقف التي تتحول من الشكّ العام إلى الفعل المحسوب، من الارتياب من الآخر إلى رفض فعل أيّ شيء لأنه أعلى من قدراته، من خجل المرء المبالغ به إلى سوء فهم حدوده، من الخوف من الآخر إلى الخوف من السمعة السيئة، من الحذر الوهمي عندما يثبط الاختيارات إلى عدم القدرة على الحلم والرغبة في أمور عظيمة، من النظرة التي تشكك بمرارة في كل شيء وفي كل شخص إلى الادّعاء بالثقة بالنفس فقط وبما تمتلكه من جماعتها وطائفتها...[٤]. على صعيد المؤمن، لابدّ من الانتباه إلى سوء الفهم الذي يصيب الثقة، وهو طبيعي لمن يثق في الله، وغير طبيعي تمامًا لمن يثق في البشر[٥]، فينسى ما يقوله تمامًا شابمان

---

[٤] بحسب أ. غراف (شاعر وناقد أدبي إيطالي): "من يثق بكل شيء يمتلك القليل من الفطنة، ومن لا يثق بأحد يمتلك فطنةً أقل".

[٥] كما تقول المزحة: "اؤمن بالله الآب ضابط الكل، وبالبشر قليلاً وبالنساء أبدًا".

(Chapman): "من لا يثق بقريبه، عادةً ما لا يثق بالله أيضًا". باختصار، إنه مشهدٌ ليس بعيدًا عن الواقع الذي نعيشه اليوم.

ولكن هناك جانبٌ آخر مفيد لتأملنا: إذا كانت الثقة في الآخر والثقة بالنفس مرتبطتان، بطريقةٍ أو بأخرى، بشيء متسامٍ منفتح على المستقبل، شيء لا يخضع لسيطرة الإنسان ولا يستطيع حتّى تبريره، سواء من جهة واقع مَن يثق به أو من جهة اختياره لحياةٍ تجذبه، ستتكون بالتالي علاقة بين الثقة وبين بعد أساسي آخر في الحياة: السرّ. هناك رابط واضح أو علاقة طبيعية وحتمية بين الثقة والسرّ.

إنها مقدمة أخرى وضرورية في خدمة حديثنا تستحق أن نتعمق فيها.

السرّ

إذا أردنا التأمل في اختيار الدعوة والبحث عن سبب صعوبته بالنسبة للشاب، علينا دراسة هذه الظاهرة على مستوى عميق وليس بصورةٍ سطحية.

تمسّ الدعوة عن قرب البعدَ الأساسي في حياة الإنسان: السرّ. نعرّف السرّ بالعموم على أنه شيءٌ يصعب فهمه ويتجاوز قدراتنا العقلية.

الإنسان سرّ

ليس هذا التأكيد جديدًا. نعلم جميعنا أن هناك شيئًا في حياة الإنسان يصعب التكهن به ويلفّه الغموض.

ربما لا يكفي أن نقول ذلك. فالسرّ ليس مجرّد شيء يُحتمل حدوثه، أو يظهر عندما نجد أنفسنا أمام فكرة أو عقيدة غير مفهومة، ولا حتّى أمام حدثٍ غير متوقع وظالم، وليس هو موضوعًا فكريًا يختاره المفكرون فقط. كلا، السرّ هو كل ما نفعله في كل لحظة من حياتنا. نريد القول إنّ الإنسان، في مراحل حياته، لا يُعرَّف بما يفعله أو يقوله، بما يخاف منه أو برغباته (أو بما يدّعي أنها

رغباته)، ولا بما يفكره عن نفسه أو بما يفكره الآخرون عنه. هناك شيء في الإنسان يتجاوز مستوى الإدراك الآني لشخصه. ما أفعله في هذه اللحظة، على سبيل المثال، يأتي من دافعٍ أعرفه، ولكن هناك بدون شكّ شيءٌ أكبر من ذلك، أشعر به ويقودني في النهاية إلى التساؤلات العظمى في الحياة، يقودني إلى الدين. لأن في كل شيء وفعل وفكر ورغبة، يختفي دومًا المعنى النهائي الذي يعطيه كلّ واحد للحياة والموت والرغبة العميقة التي تنعش سلوكه وكيانه. هناك دومًا معنى أو دافع يهرب مما نراه أو نقوله أو نفعله أو نفكر به. يهرب منّا لأننا حولناه إلى اللاوعي، وهو المعنى السلبي (ثمرة تناقضاتنا)، ولأنه مختفٍ دومًا في عالمنا الداخلي، كجزء من طبيعتنا أو كقطعة من كرامتنا وهو المعنى الإيجابي. وعن هذا المعنى نتكلم هنا.

كلّ إنسان "كائن مع بُعد السرّ"، كما يقول الأب فوسكيني عن الكاهن[6]. إذا حمل السرّ في داخله، فلن يمكنه فعل شيء دون أن يقول شيئًا عن السرّ الذي يسكن فيه، ودون أن تظهر أجزاء منه في أفعاله وأقواله، حتّى من دون علمه، في طموحاته كما في تجاربه، في ما

[6] F. Fuschini, *Mea culpa*, Rusconi, Milano 1990, p. 32.

يجذبه بالغريزة وما يخيفه، في فضائله وخطاياه، في علامات نضوجه وفي أعراض عدم نضوجه...

بهذا المعنى لا توجد تصرفات أو صراعات أو اسئلة تافهة أو عديمة الأهمية، بل في "كل سؤال وصراع وقلق مزروع، مثل البذار، سؤال وصراع وقلق جوهري وجذري، تساؤلات ومخاوف وصراعات أحياناً مخفية ولابدّ أن تُرى وتُفسّر كشيء متحرك، يلائم البحث أو الرغبة أو المواجهة وهي في النهاية البحث عن السر والرغبة به ومواجهته"[٧]، حيث يشير السرّ إلى البعد الوجودي للإنسان، وبالتالي إلى بعده الديني: أي سرّ (صغير) أمام سرّ (كبير)! ولنقلْها بواقعية أكثر: إنّ الشاب الذي يقضي عطلة نهاية أسبوعه في ملهى الرقص، ويبرر ذهابه هناك بأنه يعجبه ويريد أن يمرح، أو لأن اصدقاءه أخذوه وهم يذهبون إلى هناك، فهو في الحقيقة يذهب إلى هناك مدفوعًا من رغبة عميقة في السعادة تقوده في النهاية إلى الله وإلى مواجهته. وإن لم يعلم الشاب ذلك، فسيعلم ويتعلم عاجلاً أم آجلاً أن ملهى

[7] F. Imoda, *Sviluppo umano*, psicologia e mistero, Piemme, Casale Monferrato (AL) 1990, p.345.

الرقص لن يستطيع كبت هذه الرغبة ولا اشباعها[٨]. فالدعوة تنتمي إلى بعد السرّ هذا، وتبدأ بالبحث في هذا الاتجاه عن الإجابة أو عن محاولة حقيقية للإجابة.

سرّ أم لغز؟

التوضيح الثاني عن السرّ هو إنه ليس أمرًا مبهمًا لا يمكن الوصول إليه، كما تعودنا على التفكير فيه، أو أمرٌ يمكن التأمل فيه بتقوى فقط أحيانًا، أو أمرٌ نبقى على مسافة منه بتواضع كبير... ولكنه أمرٌ مشرق جدًا، مليء

---

[٨] هذا هو بالضبط معنى قصة الطالب الجامعي الذي تربى على الإيمان، وعاد إلى بلاده للعطلة. كان الشاب قد تعلّم شيئًا من فرويد (عالم نفس). والتقى في الشارع بكاهن رعيته، وقد مرّ على دروس التعليم المسيحي التي أخذها زمنٌ طويل. وبعد أحاديث عدّة، طرح صبي المذبح سابقًا، والمؤمن السابق أيضًا، اكتشافه العظيم للكاهن: "أبتِ، لا تحبط، الناس في الكنيسة عندك لا يأتون مدفوعين بالإيمان، ولكن بسبب "تسامي" دافع الجنس. هل تعلم ذلك؟" وانتظر ردّة فعلٍ يائسة أو مندهشة من الكاهن الفقير. أما الكاهن العجوز فلم يتفاجأ، وهو لا يعرف من هو فرويد وليس مصطلح "تسامي" مألوفًا لديه، ولكنه يعرف الروح الإنسانية ورغباتها وتناقضاتها. وبهدوء شديد، أجابه: "أتعلم ما سأقوله لك؟ عندما تدق على باب الكازينو، أتعتقد أنك تبحث عن جسد امرأة؟ لا، فإنك تبحث عن الله" (راجع: A. Cencini, *Verginità e celibato oggi. Per una sessualità pasquale*, Dehoniane, Bologna 2002, p.28).

بالنور بحيث لا تستطيع أعيننا أن تحدّق فيه مباشرةً، ولذلك لا يُطفأ ولا يمكن أيضًا فهمه بصورة مباشرة. ليس بعيدًا عنّا، بالعكس فهو قريب منّا بصورة أكثر حميمية من الأنا ذاته، كما يقول القديس اوغسطينوس. بالتالي هذا السرّ ليس باردًا أو مضادًا، فريدًا في استقلاليته، ويتعذر اختراقه، بل دافئ وصديق وحيوي. تستطيع البحث عنه وإيجاده في كل مكان وفي كل لحظة، في داخلك وفي خارجك.

اللغز يضادد السرّ، لأنه مظلم والظلمة تبعد. فاللغز لا يريد أن ينقل شيئًا، لا يسمح بالرؤية أو السماع، يرفض رغبتي في الاتصال ويسخر من أفكاري (الضعيفة) وقدراتي الواهنة. إنه جليدي المشاعر وغير مضياف، معدنه غير قابل للاختراق، يخلق احباطًا وشعور اللاأهمية، يعتبر الحياة عديمة معنى، وإذا كان لها معنى فلا يمكن الوصول إليه.

فرق جوهري آخر: السرّ لا يمكن فقط البحث عنه ومحاولة إقامة علاقة معه، بل يبحث هو عنك وتشعر أنه يحيطك مثل حضن دافئ. لا بل يمكننا القول، انطلاقًا من النقطة السابقة، إنّ السرّ يثق ويؤمن بك وفي رغبتك باستقباله إلى درجة أنه يسلّم ذاته لك. يأخذ المبادرة أولاً

فيثق ويتّكل. أما اللغز فلا، لا يبحث عنك وليس مهتمًا بك، لا بل إنه مثل الجاهل الذي يتكلم عنه المزمر: لديه عيون ولا يرى، آذان ولا يسمع... أيد تحتضن ولا يعرف كيف يحتضن أحدًا... أمام اللغز يشعر المرء بالوحدة.

مما لا شكّ فيه، تُعتبر الحياة لكثيرين لغزًا، لأنها مليئة بوقائع لا يمكن تفسيرها، وبأوضاع لا معنى لها، مثل لغز لا يملك فيه البحث عن المعنى أي معنى – ولا حتى البحث عن الدعوة – وقد يأخذ صيغًا تعبيرية عدّة وخاصّةً تلك الصيغ التي تنتقل اليوم من النسبية إلى اللامبالاة تجاه القيم والحقيقة.

ولكن المشكلة الأخطر هي أن مؤمنين كثيرين يعيشون علاقة مع الله وكأنها لغز، علاقة بعيدة وباردة، قاسية ووحشية، غير شفافة ولكنها في الوقت ذاته متطلبة. فكيف يمكن إقامة حوار أو بحث عن الدعوة مع إله لغز؟

لهذا بالضبط، وبسبب هذه الحالة المأسوية، نتساءل الآن: ما هي خبرة المؤمن النموذجية للسرّ، أو ما هي الخبرة التي لابدّ أن يملكها المؤمن الذي يُدعى فيما بعد ليكون منشّط دعوات؟

المؤمن أمام السرّ

إنها خبرة فريدة: فالمؤمن يعيش غارقًا كليًا في السرّ، ليس لأنّ الإيمان مفروضًا عليه أو لأن واحدًا علّمه الإيمان بعيون مغلقة، وليس لأن في إيمانه أمورٌ تتجاوز ذكاءه البشري (كعقيدة الثالوث أو الاوخارستيا...)، بل بالعكس يريد أن يؤمن بعيون مفتوحة، من كل قلبه وعقله وجميع حواسه. ولهذا السبب يكتشف أنّ السرّ يحمله معه، وأنه لا يوجد فعل أو فكر، شعور أو رغبة، اضطراب أو ضعف، فرح أو ألم، تساؤل أو انتظار... صغير جدًا إلى درجة عدم قدرته على استقبال سرّ التساؤلات والانتظارات الجوهرية، تلك المتعلقة بمعنى الحياة والموت (أو الحبّ أو الألم) التي يحملها كلّ إنسان في داخله كامرأةٍ حامل. فائدة المؤمن إنه يعلم ذلك كلّه، عكس غير المؤمن، لا بل يعلم بدقّة أصل بحثه وتوجهه النهائي، الواضح منه والضمني، وهو الرغبة في الله. ويعلم أنه الرغبة الوحيدة الحاضرة في قلب كلّ إنسان.

نقول إذًا إنّ المؤمن يعيش في سرّ حياة كلّ يوم لأنه منفتح على السرّ، ويعطي لهذا السرّ الذي تتوجه إليه حياته اسمًا: الله!

إلهٌ يجسّد تمامًا سمات السرّ التي رأيناها قبلاً: إله طيب يكشف عن طيبة السرّ، خاصّة أنّ الإله السرّ كشف عن نفسه بإنه السرّ الطيب. وهذه بالنسبة للمؤمن خبرة جميلة جدًا.

حنان الله الأبدي

إنها خبرة جميلة جدًا لأنها كشف عن حنان الله الأبدي، ضابط الكل في محبته. وهنا تولد الثقة.

الله حنون لأنّه السرّ المخفي منذ أجيال، وفيه يختفي سرّ حياتي وحقيقتي أيضًا. الله هو هذا السرّ، سرّ طيب وحنون جدًا لأنه يكشف عن ذاته، يسمح بأن يُمس ويُرى بطريقةٍ ما، يوجّه لي كلماته ويرسل لي دومًا رسائله، لا يبعدني عن ذاته ولا ينغلق على ذاته، ليس لغزًا باردًا وغامضًا، عدوانيًا وصلبًا، خشنًا غير شفاف على الإطلاق. فيه دخل الإنسان أخيرًا إلى السرّ. من الممكن إذًا التأمل في السرّ والاقتراب منه واكتشافه تدريجيًا والتحاور معه إلى درجة الشعور بأننا محبوبون من قبله وأننا نحبه. إنه حنان الله الأبدي.

عالم الوثني، أو عالم من لا يؤمن، مليء بالألغاز، بينما عالم المؤمن يحيطه السرّ واليقين بأن الله – السرّ الطيب والمحبوب – يريد أن يكشف ذاته لي، يريد ذلك جدًا، وهو حنون لأنه يجعلني أخترق عمق النور اللامتناهي، كاشفًا لي حقيقته بحبٍ عظيم ولكن بصورة تدريجية وبلطف لأنه يأخذ بالاعتبار قدراتي المحدودة. تلك الحقيقة التي ظهرت في تجسد الكلمة، ابنه يسوع، الذي كشف السرّ الذي بقي مخفيًا لسنواتٍ طويلة، وكشف عنه على أعلى المستويات في الصليب، سرّ الحنان الكبير، ويُعبر عنه يوميًا في كلمته، كلمة الله اليومية.

الله يثق بالإنسان

ولكن للحنان معنى آخر: إذ كان الله يكشف عن ذاته، فهذا يعني أنه يثق بمن يكشف له عن سرّه. الكشف عن الذات أو التعريف عنها يعني هبة الذات، أي بطبيعته فعل ثقة واحترام لذلك الشخص الذي تكشف له أسرارك وتتقاسم معه هويتك. الشيء ذاته في الأمور الإنسانية وفي العلاقات الشخصية: الحبيبان يرغبان بمعرفة بعضهما ويبدءان بسرد قصّة حياتهما الواحد للآخر،

ويحترم كل واحد الآخر ويستقبل عالمه الداخلي الحميمي. أما الطرفان اللذان يتعاركان فيتجاهلان قصّة أحدهما الآخر.

من الرائع أن نفكّر أنّ هذا بالضبط ما يفعله الله مع الإنسان. أي أن الله سرٌ طيب ليس لأنه يكشف عن ذاته فحسب، بل من خلال كشفه هذا يثق هو أولاً بالإنسان. وكلامه هذا ليس فعلاً معرفيًا، أو مجرّد وحي ينير العقل، بل تسليم ذات لمن يصغي لها ويبحث عنها. إنه الخالق الذي يضع ذاته في يدي خليقته ويثق بها. فالخلقة هي فعل ثقة الله بالإنسان، وكذلك الخلاص والغفران هما أفعال ثقة إلهية، وكل نعمة تصل للإنسان. سرٌ في السرّ! إنها الثقة البشرية (بالله) التي تلد وتنبثق من الثقة الإلهية (بالإنسان).

المؤمن هو من اختبر حنان الله وثقته كلّ يوم من أيام حياته، الله سرّ طيب ومحبوب، يكشف عن ذاته لأنه يثق ويسلّم ذاته. فالحنان بالتالي يعني أن أمتلك قلبًا تعلّم من حنان الله السرّ. يستنير بالثقة فيبحث ويجد في كلّ شيء وحدث وعلاقة طريقًا شخصيًا يقود إلى الله، وقبل ذلك يستنير باكتشاف الثقة التي لدى الله بالإنسان.

حنان الإنسان الروحي

إذا كان لحنان المؤمن هذا الأصل، فلابدّ له من مميزات محددة تصنع منه فضيلةً مهمة.

فضيلة روحية وليست نفسية فقط

يولد الحنان من جهد مكثف يقوم به قلب وعقل الإنسان الروحي، يرتفع إلى حدّ التأمل في السرّ الإلهي ثمّ الإنساني. ليس فعلاً متهورًا أو مزاجيًا، وليس شيئًا ناعمًا أو سائغًا يتأثر بسرعة، ولا نجده في شخص رقيق ومؤدب، حساس جدًا وحنون، يُداعب برقّة. فمن جانب آخر، نستطيع أن نحُنّ بسهولة على قطة أو كلب المنزل (وليس على أفراد عائلتنا أو اصدقائنا)، ونكون أكثر حنانًا مع طفل صغير مولود حديثًا وأقلّ مع الكبار، وما أقلّ ما يبيّن الرجال هذا الحنان، فنميل إلى اعتباره صفة أنثوية تخصّ النساء كونهنّ أمهّات (ولكن مع تشويش المعاني اليوم لا نعلم إن كانت تحديداتنا هذه صحيحة وإلى متى). إنه بالحقيقة فضيلة الروح، يشمل الإنسان كلّه ويغنيه، حتّى مَن اختبر الحدّ الأدنى من حنان الله الأبدي.

قال الأب تونينو بيلو في احتفالية أبرشيته برسامته أسقفًا، خلال موعظته الأولى للمؤمنين: "أجيء إليكم

بأمرين: كلمة الله وحنان قلبه الذي أريد أن أظهره لكم بمحبتي".

فضيلة قوية وليست مجرّد تعبير عن اللطف (أو البحث عن الألفة الجسدية)

هناك طريقة أخرى لرؤية الحنان، أكثر من منطق اللطف والانقياد والنعومة، وهو اعتباره ثمرة اقتراب سرّ الله وسرّ الأنا. وهذا يسمح بالدخول إلى سرّ الأنتَ، ويربّي الاستعداد الملائم لاستقبال الآخر كسرّ، بصورة فريدة لا تتكرر من ناحية حقيقتها وجمالها، وتعبّر عنها أفعال وطرق دقيقة ومعقدة لكنها لا تدمّر أي جزء منه. فالحنان ينشأ إذًا من التأمل في شيء نكتشف جماله ويزرع فينا الحبّ، وليس مجرّد فعل لطيف، كما يفهمه عامّة الناس، بل يتضمن اهتمامًا مركزًا. من جهة، الحنان هو بالضبط عكس التصلّب غير القادر على الاتصال بل على فرض نفسه فقط، ومن جهة أخرى هو عكس الانقياد لمن يوقف العلاقة على مستوى سطحي وتافه وجسدي.

في خدمة الحقيقة وليست اشباعًا آنيًا

هدف الحنان نموّ الآخر أو إخراج غناه الداخلي، وليس إشباع حاجة عاطفية عند من يتلقاه أو من يعطيه،

أو اعطاءه شعورًا جميلاً وناعمًا. الحنان يعمل دائمًا، ليس له حدود في ذاته، وهو طريقة للتعبير عن الاهتمام الشخصي بخير الآخر، فيجذب اهتمامه نحو الخير، وهو تقريبًا طريقة لحماية حقيقة الآخر، فنقولها له بهدوء وبصورة تدريجية، مقنعة وجذابة لكي يعترف بها ويقبلها. ولكن علينا في كل الأحوال أن نقولها. فالحنان في خدمة الحقيقة، حقيقة الآخر في جميع جوانبها السلبية والإيجابية، ويجعل من الممكن واقعيًا إيصالها للآخر وكأنه يعيد تلبيسها من جديد. إنه على صورة حنان الله الذي ينكشف في سرّه ويسمح لي بالوصول إلى حقيقة ذاتي وإلى الحقيقة كلّها.

من هنا ينبع جانبان أساسيان من الحنان: الجهد الصادق (أي الموضوعي) وأسلوب الوصول إليه (أي الطرق الدقيقة التي تسمح بالوصول إليه) أو بكلماتٍ أخرى فهمه المعتدل واللطيف إلى جانب الشجاعة لقول الحقيقة.

حنان الدعوة (أو حنان منشّط الدعوات)

قد يبدو المصطلح صعبًا، لكنه يعني كيف ينتج حنان المنشّط عنصرًا مهمًا في تنشيط الدعوة، على شرط أن يُفهم بصورة صحيحة وينطلق أولاً من هذه المقدمة: أن يعيش منشّط الدعوات هو أولاً خبرة الحنان والثقة بالله. إنّ تنشيط الدعوة خدمة تُقدّم للشاب ليكشف عن سرّه المختفي في السرّ الإلهي. فهو ينطلق بالضرورة من علاقة إيجابية معه، نستطيع القول أيضًا علاقة صوفية في تساميها وكينونتها، وهو أكثر من مجرّد استراتيجيات خاصّة، وشرط لا غنى عنه لمرافقة الشاب بحنان يتّسم بهذه الصفات:

❖ أن يكون حنانًا عطوفًا، يعطي عطفًا حقيقيًا وفعّالاً للشخص، وليس محض وسيلة ومتعة. كما لا يمكن التبشير بالإنجيل من دون محبة، لا يمكن أيضًا عيش راعوية الدعوة عندما تقوم على مصالح تجارية أكثر من مصلحة الشخص الواجب مساعدته في اكتشاف سرّه ودعوته. كما يقول تيار دي شاردان[٩] بمصطلح صاغه بنفسه: لابدّ اليوم "أن (نحبّب) العالم"[١٠]. إنه العنصر الأول

[٩] كاهن يسوعي، فيلسوف وجيولوجي فرنسي.

[10] A. Paoli, *Gettati nel mondo*, in *Rocca*, 10 (2006), 52.

وربما شرط الأنجلة الجديدة (المصطلح الذي صاغه يوحنا بولس الثاني ووُضع بسرعة جانبًا) وهو شرط أيضًا لراعوية دعوات ذكية.

❖ أن يكون حنانًا سرّيًا وصادقًا، يولد من إدراك السرّ والبحث عنه وليس من حاجة غبية للإشباع الآني، ويوضع في خدمة الحقيقة. بهذا المعنى، منشّط الدعوات هو حارس السرّ وفي الوقت ذاته الأخ الأكبر الذي يقف إلى جانب المدعو ليساعده في اكتشاف دعوته. وبصورة أكثر واقعية، لابدّ أن نعرف "قول الحقيقة" أو امتلاك الحقيقة في قولها، ونضع سويةً الجانب السلبي (أي المخاوف وما يقاوم الدعوة) والإيجابي (مشروع الدعوة بحدّ ذاته).

إنها عملية وضع أبعاد الحنان الطبيعية سويةً، أي الأبعاد الأنثوية الأمومية والذكرية الأبوية، كما يؤكد القديس بولس: "لَطَفْنا بكم كما تحتضنُ المرضعُ أَولادها. وبلغ منّا الحنوُّ عليكم أنّنا وددنا لو نجودُ عليكم، لا ببشارةِ الله فقط، بل بأنفسنا أيضًا، لأنّكم أصبحتُم أحبّاء إلينا". ثم يضيف: "فقد عامَلْنا كلاًّ منكم كما يعاملُ الأبُ أولادَه، كما تعلمون، فوعظناكم وشدّدناكم وناشدناكم أن تسيروا سيرةً جديرة بالله الذي يدعوكم إلى ملكوته ومجده" (١تس ٢/

٧-٨، ١١-١٢). فمن جهة هناك الحبّ الأمومي الذي يدفع بولس لأن يصرّح باستعداده ليعطي حياته، ومن جهة أخرى الشجاعة الأبوية ليشير إلى اعلى مستوى في حياة المسيحي المدعو ليتصرف "بطريقة تليق بالله". فالحنان يظهر في بولس كمختصر لكلا البعدين: ليس مجرّد لطف واستيعاب للمقابل، ولكنّه أيضًا حثّه وتصحيحه، فهو الحبّ الحقيقي.

❖ أن يكون حنانًا منفتحًا على الثقة، أي يسمح للشاب بأن يشعر نفسه محبوبًا ومسؤولاً في الوقت ذاته، أن يعرف نفسه في حقيقة محدوديته وفي تناقضاته، ولكنه في الوقت ذاته يولد الرجاء ويعبّر عنه، أو القناعة ليستطيع السيطرة على ذاته لكي لا تعرقل تحقيق مسيرة الدعوة. ليس فحسب، فالثقة التي على الحنان أن ينفتح عليها، ترتبط بالمثل الذي أمامها فيجذبها ويدعوها لتحقيقه، وفيها يختفي الأنا الذي يقول اسمه ويكشف سرّه. نكرر: لا علاقة للحنان مع الدلع، ولكنه القدرة على نقل حقيقة الآخر (سرّه)، بمصطلحات وطرق مقبولة تعطي الثقة وتعمّق القناعة بإمكانية تحقيقها.

أعتقد أن كلّ واحد منّا يستطيع أن يميّز في ماضيه أشخاصًا حنّوا عليه بهذه الطريقة، واستطاعوا أن يقولوا

وينقلوا له الحقيقة، وإن كانت محزنة، ولكنهم نقلوا له الثقة بتحقيقها وفقًا لشخصيته. بهذا المعنى الحنان فضيلة قوية وفضيلة الأقوياء وليس الضعفاء، إنها فضيلة من يضع الحقيقة والثقة سوية، وخاصّةً إذا كان حنان الدعوة.

حنان ضدّ الدعوة

وهنا تأتي هذه النقطة بصورة عفوية: يوجد أيضًا حنان ضدّ الدعوة. وهو طريقة يبيّن فيها الشخص صداقته لك ظاهريًا بينما يريد أن يضعك تحت حكم تصرفه تمامًا، حتّى من خلال تبنّي أفعال وطرق "شبابية" مبالغ بها أو مواقف غير عادية قد تعبّر عن شخصيته، وتجعله في النهاية مشابهًا لأي شابٍ آخر وتحرمه من أي مصداقية فلا يصغي إليه أحد. أو لكي يكون صديقًا لطيفًا يحذر أن يقول لك كلمة قد تبدو غير لطيفة، وفي الحقيقة ليست لديه الشجاعة لقول الحقيقة، حقيقة عدم نضوجك، أو كل الأشياء صعبة القبول بالنسبة إليك. التفكير بهذه الطريقة وهمٌ يُراد منه تسهيل العلاقة وجعل صورة الدعوة أكثر قبولاً. بالعكس تمامًا، فالدعوة تعبّر عن

حقيقة الشخص ولا يستطيع أحد الادعاء باكتشافها أو فرضها خارج الحقيقة.

فلا معنى للحنان الذي لا يتوجّه إلى الله بل فقط إلى إشباع العلاقة بين الطرفين، أو الذي ينتهي بإخفاء الجوانب الأقلّ حقيقةً في حياة الشخص ويضع أمامها موقفًا حنونًا قد يكون كاذبًا، وينتهي بأن يعطي للآخر وهمًا خطيرًا أو غير كامل عن نفسه. أو قد يكون حنانًا طفوليًا أو يتوجّه إلى الجزء الأقل نضوجًا من الأنا، فيكون حنانًا فارغًا ونفسيًا فقط، أي يشبع حاجة معينة من الحميمية، ولا يكون حنانًا حقيقيًا ناضجًا يحثّ على السير نحو التحقيق الكامل لسرّ الأنا. فالحنون هو الذي، انطلاقًا من خبرة اكتشاف هويته في السرّ الإلهي، يقودني بنفس الشعور ونحو نفس الاتجاه في اكتشاف حقيقتي، وبنفس النهج الذي به كشف له السرّ الإلهي عن ذاته.

سرّ الاختيار

الاختيار لحظة استراتيجية في حياة الإنسان، وفيها يتوضّح السرّ بطريقةٍ خاصّة: فعندما يختار الإنسان، يوضع لا محالة أمام السرّ، حتّى وإن لم يعلم، أمام سرّ نفسه وسرّ الآخر والحياة والله، إن كان مؤمناً أو حتّى غير مؤمن. وفي الاختيار يظهر ما في قلبه، خاصّةً إذا كان الاختيار موزوناً ويمثّل قرارًا مهمًا للحياة.

نريد الآن أن ندرس تربية الاختيار، من خلال الانطلاق من الوضع الثقافي الذي نعيشه اليوم، لنرى بعدئذٍ العناصر التي تؤسس الاختيار، وما يميّز الاختيار المسيحي من الاختيار الإنساني البحت، ونقترح في النهاية بعض الملاحظات التربوية.

ثقافة اللاقرار (أو الخوف من الاختيار)

نستطيع القول أيضًا إننا نعيش اليوم في ثقافة اللاقرار، وشباب اليوم، أبناء العوائل، أو الذين يعيشون مع مربين، معلمين، كهنة... مترددون، أبناء جيل متردد، كما أشرنا في المقدمة.

أليست أزمة الدعوات إشارة مقلقة لهذا الوضع؟ فما يُقلق ليس الفراغ المحزن للمعاهد الكهنوتية أو الرهبانيات، بل انعدام موقف الاختيار الذي على كل شاب أن يمتلكه لحياته بالعموم ولمستقبله بصورة خاصّة مهما كان. يتّخذ هذا الموقف صيغًا منوعة ومهمة، ولكنها جميعًا ومن دون استثناء خالية من بعد السرّ وتتسم بخوف متزايد: الخوف من الاختيار. فلنرَ بعض هذه الصيغ انطلاقًا من أكثرها فقرًا وأقلّها تناسقًا.

عدم الاختيار

إنها مستوى الصفر، مستوى من يريد ألاّ يختار أبدًا لو كان بإمكانه، وعندما عليه أن يختار (من عنوان مدرسته إلى مكان قضاء العطلة) يؤجل الاختيار إلى اللحظة الأخيرة، أو إلى أجل غير مسمّى، بسبب شكوكه وصراعاته أو بالعكس يعيش في هدوء يلائم حالته المترددة.

مثل هؤلاء الأشخاص قلّ ما يختارون في الحياة، وغالبًا ما لا يتّخذون موقفًا أمام المشاكل الكبرى في الوجود، ويبقون في موقف محايد دون امتلاك الشجاعة وذكاء العقل والقلب ليضعوا أنفسهم أمام السرّ. أو هم من

الأشخاص الذين لا يختارون طريقهم، أو بصورة متناقضة "يقررون" البقاء في عدم تمييز دعوتهم، مثل تلك الشابة التي تبحث عن دعوتها وتسأل بإصرار في صلاتها للربّ بأن يكشف لها مشروع حياتها. وتقول في نفسها إنها منفتحة ومستعدة لمشروع التكريس ولكنها مترددة. وغالبًا ما تركع أمام تمثال عجائبي للعذراء مع الطفل يسوع على ذراعيها، كما أوصوها بعض الراهبات اللواتي ربما يكنّ جيدات، وتردد التضرع ذاته بخصوص الدعوة، ولكن "عذراء الدعوة" (وهذا اسمها) صمتت ولم تدعوها، على الرغم من صراخ الراهبات المصلّي. إلى أن جاء اليوم الذي وصل فيه الجواب، ولكن ليس من العذراء ؛ فالطفل يسوع، الذي ضجر من سماع المرثاة ذاتها، قرر أن يقوم بالمبادرة وقال لها بصراحة: "هيا، ادخلي إلى الرهبنة!". فأجابته هي: "اسكتْ، على الأطفال أن يسكتوا بحضور الكبار. ثمّ أني طلبت من أمّك، فلا دخل لك في الموضوع...". وفضّلت البقاء مع أزمتها الأبدية في تمييز دعوتها، وازداد عدد لاقراراتها الأبدية. أو من يصل حتّى إلى نهاية حياته دون أن يقرر بعدُ العيش أو اختيار طريقة عيشه. في الحقيقة، نحن نولد باختيار آخر إلا أن نوعية الحياة، والموت أيضًا، مرتبطة بقرار خاصّ!

اختيار توفيقي "الكل يفعل هكذا"

في الواقع، إنّ عدم الاختيار في الحياة مستحيلٌ. ومن يدّعي العيش هكذا يجد نفسه يعاني، من دون أن يدرك أحيانًا، من اختيارات قام بها آخرون بدلاً عنه، وكأنهم أعطوا حياتهم (وعقلهم) بدل إيجار. إنها حالة شباب يعانون من غرائزهم ومشاعرهم، وتصبح شيطانية بالنسبة لهم، دون أن يعلموا، مثل عبّاد الكائنات المجهولة في الأزمنة الغابرة... أو من لا يختارون قيمةً ما وليس لديهم الشجاعة لأن يعطوا معنىً حقيقيًا لتاريخهم، بل يشربون من الثقافة المحيطة دون أن يكتشفوا طعم البحث الشخصي. أو شباب "مجبرون" نفسيًا على اتّباع منطق القطيع، فيُجبرون على إصدار الفتوات ويُكرهون في النهاية، أو شباب لا يختارون أبدًا مستقبلهم لأنه مقرر مسبقًا من أكثر مجاميع غامضة (العائلة، السوق، القدرة الاقتصادية، الرأي الغالب...).

أصبح كثيرون اليوم مثل الببغاء أو القطيع، وهو خطر يؤثر في هذا المجتمع من المتغطرس والمهيمن، فيضع شروطًا على كل اختيار ويستثني فكرة السرّ كلها.

اختيار متناقض وغير أمين

إنه قرار يترك فيه صاحبُه المجال مفتوحًا في كل اختيار ليقوم بخطوة إلى الوراء، ويترك لنفسه بابًا مفتوحًا أو يكذّب من قررَ أو قال كلمة أو أتّخذ التزامًا (هكذا عندما نتزوج نترك امكانية مفتوحة ليذهب كل طرف في طريقه، أو بالأحرى نتعايش ببساطة في ذلك الوقت، وإذا أصبحتِ حاملاً ولم يرضيكِ، يكفي حبة دواء وإلى اللقاء يا طفلي. أو إذا اتّخذتُ طريقًا ولم يعجبني فيما بعد، أبدأ طريقًا آخر... وكل شيء يصبح هشًّا وغير متناسق، خفيفًا وسائلاً، بالضبط كما هي الحداثة اليوم). إنه اختيار يخاف أن يكون "إلى الأبد"، وينتهي بتناقض سرّ الحرية الإنسانية ويجعل الوجود تافهًا والكلمة بغير مصداقية والعلاقة غير أكيدة. ويُدّعى بهذه الطريقة إلغاء مأساة وجمال الحياة الإنسانية: يستطيع الإنسان أن يقرر بأن يوكل حياته لفكرة مثالية أو لعاطفة أو لمشروع... ويستطيع تسليم ذاته لكل هؤلاء، وفي النهاية لله أو لشيء يفوقه ويثق فيه. ليس فقط يستطيع بل يجب عليه فعله، كما سنرى، من خلال قراره هو فقط لمن ولأي شيء يسلّم ذاته، ولكنه يبقى أمينًا حتّى عندما يجب عليه أن يدفع ثمنًا.

كلّ اختيار حقيقي يجمع، بصورة واضحة وضمنية، كرامة الإنسان والتقبّل الكامل لبعده السرّي.

اختيار متكرر وعقيم

هناك من يخاف من جديد الاختيار، ومن الاحتمالات التي تتركها بعض الاختيارات أمام الشخص، فيقرر ألاّ يخاطر: يختار وكأنه لم يختر شيئًا. وفي الواقع، يختار أن يفعل فقط ما هو متأكد من فعله جيدًا، ينتبه كثيرًا ولا يمشي خطوةً أطول من ساقه، إنه حذر جدًا ويدّعي بامتلاك جميع الضمانات، يفضّل السير في الطريق القديم لأنه أمين وبلا مفاجئات، دون أن يعي أنه يعيد الأمور وأن مستقبله يشابه ماضيه كثيرًا في مسيرة تشبه الاستنساخ، بينما تصبح الحياة مملة دومًا وعديمة اللون.

في منظور الدعوة، هذه حالة من يقرر مستقبله ببساطة بناءً على خبرة مَن نجحَ في هذا الطريق وعلى ما اكتشفه فيه، وهو ليس مستعدًا لتقبّل أي شيء يدفعه للذهاب أبعد من ذاته، أو ليخاطر بالمفاجأة، أو أن يرمي بنفسه في مغامرات جريئة حيث لا توجد ضمانات محددة. من جهة أخرى، بهذه الطريقة فقط يكتشف المرء

هويته الخاصّة، وأن هويته أكبر مما يفكره عن نفسه من ناحية وضعه الحالي واختبارات قدراته.

اختيار أناني وأعمى

يوجد أيضًا قرار من يرى نفسه ومصالحه فقط، ويقرر على أساس هذه الرؤية دون أن يحسب حسابًا للآخرين، لحاجتهم وألمهم.

الاختيار يعني الانفتاح، تقبّل التشجيع الذي يأتي من وجوه مختلفة، إبقاء المشاعر متيقظة، ترك الذات تتأثر بنداءات وتساؤلات. الأناني لا يعرف أن يختار، لأنه يرى نفسه فقط، ومن لا يختار الأنت فقد اختار موته.

اختيار أبله وبغيض

أخيرًا يوجد اختيار من لا يعرف بعدُ ماذا يفعل ليشغل وقته، أي ليشعر نفسه أنه لا يزال حيًا وفاعلاً وقادرًا على الاستمتاع بالحياة... أو من استنفذ احتمالاتٍ عدّة في هذا المجال، ويذهب ليبحث عن السعادة في أماكن أخرى، ويتلقّى بالمقابل أوهام الفرح فقط، ويجد نفسه لا يعرف ماذا يفعل بعدُ ليقتل وقته. مثل أولئك الشباب في السنوات الماضية، لم يجدوا شيئًا يتسلّوا به أفضل من رمي

الحصى وهم راكبين الخيل، شباب "فارغين" كما وصفهم اندريولي[11]، أو مثل شباب ريمني[12]، من عوائل جيدة، قرروا في إحدى ليالي الشتاء أن يشعلوا النار في فقير متشرد يحاول أن يحمي نفسه من البرد القارص في الليل، أي قرروا أن تكون رغبتهم بتجربة شعورٍ مختلف أهمّ من كرامة وحياة هذا الإنسان. ولكي يبرروا أنفسهم، قالوا إنهم لم يريدوا أي يصيبوه بسوء، بل إفزاعه فقط على سبيل المزحة. ولكي يدافع الأهل عن أولادهم الشباب الصغار "بحنان" قالوا: "لم يتقصدوا أن يفعلوا به السوء". أي ربما كان فراغ العقل عند هؤلاء الشباب موروث...

في أيّ فراغ وفي أي تربية على اللاشيء نما هؤلاء الشباب بصورة طبيعية؟ ماذا يجب أن يكون الإنسان ومن يقف وراء كلّ واحد؟ إنه سرّ إنسان خاسر وذاكرة مليئة بالعدم...

---

[11] هكذا شخّص الطبيب النفسي المشهور من فيرونا: "هؤلاء الشباب ليسوا مرضى ولا أشرار. مع الأسف إنهم فارغون وبالتالي غير قادرين على تمييز الخير من الشرّ".

[12] مدينة إيطالية بإقليم إميليا رومانيا (المترجم)

العناصر التأسيسية للقرار

يذكرنا التحليل النفسي أن كل قرار شخصي يتطلب أربعة سمات: التفضيل (أو الرغبة)، التخلّي، العلاقة مع الماضي، والتوجّه نحو المستقبل[١٣]. ولكني أضيف عنصرًا آخر في منظور السرّ الذي يوجّه حياة الإنسان ويصبح في لحظة القرار واضحًا بطريقة متناقضة: إنه عنصر "المنطقة المكتشفة في خطر". فلنراها بالترتيب.

الرغبة (عنصر تفضيلي)

يختار المرء احتمالاً ما ليس لأنه الوحيد، بل لأنه يفضّله على احتمالات أخرى يمكن الحصول عليها، أو بسبب رغبة قوية تجذبه في هذا الاتجاه. الرغبة تعني تركيز جميع الطاقات نحو شيء يشعر المرء بمركزيته في حياته. إذا كان تركيز الطاقات يشبه ضغط المياه على جدران سدّ، فالقرار هو نقطةُ كَسرِ السدّ التي تسمح للمياه

---

[١٣] نستقي حديثنا هنا من تحليل الصديق ماينيتي الذي لا زال فعّالاً:
A. Manenti, *Vivere gli ideali. Fra paura e desiderio*, Dehoniane, Bologna 1988, pp. 208-213.

وراجع أيضًا:
M.E. Kaplan - S. Schwartz (eds.), *Human judgment and decision processes*, New York 1975; I. Janis – L. Mann, *Decision making. A psychological analysis of conflict choice and commitment*, New York 1977.

بالخروج منه. بمصطلحات روحية يمكننا القول: إن كانت الرغبة تمثّل العنصر الداخلي، فالقرار يمثّل تنفيذها المتسامي.

هناك إذًا جذب إيجابي إلى جذر الاختيار الذي يصبح ضعيفًا إذا كان الجذب إليه فقيرًا أو غائبًا. وهذا الجذب أو هذه الرغبة تدفع إلى التنازل، لكي لا تصبح إماتة مكرهة. ففي القرار الحقيقي لا يُستهان بالقيم (أو ما يقابلها) التي تنازل عنها المرء، وليس حقدًا على ما تمّ التخلّي عنه، بل الرغبة في ما اختاره.

جمال القرار يكمن في تحقيق القرار نفسه: نقرر شيئًا لأنه ثمين جوهريًا. والقرار "الجميل" لا يُبنى على تبريرات خارجية (سألتزم لأستفيد، لأني خائف، لكي لا أشعر بالذنب...)، ولا يُبنى أيضًا على دوافع اجتماعية كضغط مجموعة على الفرد (هكذا يفعل الجميع)، أو التقليد (يُنتظر مني أولاً وآخرًا أن أقرر)، تحديد هويتي (ألتزم لأن هناك من طلب مني ذلك).

القرار الناضج يُؤسس على تبريرات داخلية، تنبع من تثمين ما أختاره: ألتزم لأني أؤمن ولأن هذا القرار يولد من إرادتي الحرّة. ربما تعود بداية القرار إلى مجموعة

من الأصدقاء أو إلى التربية التي تلقيتها أو إلى مثال الآخرين، إلا أن اللحظة الحاسمة تبدأ عندما ينفصل الشخص عن هذه الحالات ليقرر بصورة شخصية ولوحده بأن يسلّم ذاته وللأبد، من دون ضغوطات أو تحفظات، لشيء يشعر بأنه يرغب فيه[14].

هذه ملاحظة تربوية في غاية الأهمية: إذا لم توجد قرارات في الدعوة، لابدّ من العمل على العنصر التأسيسي الأول وهو الرغبة. فقرار الدعوة لا يأتي بصورة مصطنعة، بل من خلال تشجيع القدرة على الرغبة في أمر يستحق الرغبة فيه، ويأتي في الوقت ذاته من قدرة المنشّط على وصف جمال الأمور المثالية، وهي قدرة حاضرة فقط عندما يُغرم المنشّط بها.

عند هذه النقطة فقط يصبح التخلّي ممكنًا كاختيار حرّ وكنتيجة تكشف نوعية ما نختاره. فتكون الـــ"لا" التي نقولها لشيء، إن كان جيدًا أو سيئًا بحدّ ذاته، بذات قوّة الـــ"نعم" لشيء آخر نراه أفضل وأكثر جمالاً. مثل الرجل في الإنجيل الذي، بعد أن اكتشف الكنز في الحقل، يعطي كلّ شيء ليحصل على الحقل، وهو مليء بالفرح لأنه

[14] Cfr. A. Manenti, *Vivere*, 209.

اكتشف كنز حياته (راجع متى ١٣/٤٤-٤٦). بمصطلحات أكثر مسيحية: إذا كان التخلّي هو التعبير الجدّي لمحبتنا لله ("أطيب من الحياة رحمتك" مزمور ٦٢/٤)، فالكمال يعبّر بعمق عن محبة الله لنا ("قد استغويتني يا ربّ فاستغويتُ" ارميا ٢٠/٧).

التخلّي (عنصر الإماتة)

حتّى أحقق ما أرغبُه عليّ أن أتخلّى. عندما أريد شيئًا يعني أن أتخلّى تلقائيًا عن شيء آخر يتعارض مع سابقه. فهناك تخلّي في كل الأحوال، حتّى عندما نقرر ألاّ نقرر وإن لم ندرك ذلك.

التخلّي الذي نتكلم عنه لا يعني فقط عن أمور خارجية (مهارات، أشياء...) بل يعني في جزء منه التخلّي عن الأنا وعن تلبية بعض متطلباته وحاجاته. إذا أردتُ أن أعطي معنىً بنّاءً لنهاري، عليّ التخلّي عن الرغبات المضادّة له: النوم، تجنّب المتاعب، الاستغراق في أحلام اليقظة، اتّخاذ موقف اتّكالي...

لابدّ من القول بكل واقعية إنّ كلّ قرار يحدّ من امكانيات الشخص، فهو إماتة، وإن بدا المصطلح قديمًا وغير جذاب. مع ذلك، فهي إماتة تنمّي الحرية في خطّ

القيمة التي اختارها الشخص. وهكذا، إذا كانت الدعوة الكهنوتية أو الرهبانية تتضمن التخلّي عن الحياة الجنسية، فمن الضروري اعتبار هذا التخلّي سالمًا فقط إذا أختار المدعو بحريةٍ كبيرة حبَّ كثيرين بطريقة غير أنانية. وبهذا المعنى، ليس مصطلح التخلّي بالضرورة مسيحيًا، بل يشكّل جزءًا من النمو النفسي الإنساني في الواقع وتتضمنه كل اختيارات الحياة.

ولكنه في المنظور التربوي يعني مبدأ مهمًا جدًا: لا يستطيع أي مربّي أن يطلب التخلّي دون أن يترك المجال في الوقت ذاته ليرى المتربّي مساحة الحرية التي يتركها له التخلّي. بمصطلحات الدعوة، يؤكد هذا المبدأ مرةً أخرى أهمية أن يكون المنشّط قادرًا على تقديم جمال الدعوة والحرية التي تعطيها وملء الحياة الذي تهديه. فالتخلّي يخلق خوفًا عندما يكون بعده الإيجابي غير واضح بالكفاية. من جهة أخرى، ينتظر الشباب أن ينقل لهم الكبار بعض المثل واليقين بإمكانية محبتها من خلال اختيارات تتوافق معها. لهم الحقّ ألاّ يشعروا بالشكّ والسخرية من الآخرين، وبسمّ اللاأبالية الذي يضع جميع القيم والاختيارات على نفس المستوى. لهم الحقّ ليروا أن قوّة الجذب التي يمتلكها المثل تصبح قوةَ تخلّي.

علاقة مع الماضي (عنصر الوقت)

كلّ قرار، حتّى التافه وغير المهم، له قصة ويقول لنا شيئًا، ومرتبط بصورة حتمية مع اختيارات سبقته أو مع نمط حياة اختبره الفرد. فالاختيار الحالي يكشف بطريقةٍ ما عن ماضيه، عواقبه وتبعاته، عاداته غير الظاهرة والمتجذرة أحيانًا إلى درجة من الصعب تغييرها. لا يوجد بهذا المعنى اختيار غير ضارّ أو لا يترك أثرًا، بالعكس، كلّ اختيار يميل إلى تكرار ذاته أو يخلق ميلاً في ذات اتجاهه. لهذا يعطي البعد النفسي أهمية كبيرة للقرارات الفردية للشخص ولا يقلل من أهميتها. بحسب المنطق الذي تكلمنا به أولاً نقول: لا يوجد اختيار صغير جدًا بحيث لا يؤثر في القرارات اللاحقة.

من الواضح إذًا أن اختيار الدعوة الكبير تسبقه عدد من الاختيارات الصغيرة، ونستطيع القول إنها تعدّه وتفتح طريقًا في هذا الاتجاه. والعكس صحيح، الاختيارات الصغيرة المضادة للدعوة، ستبعد الشخص دومًا عن اختيار الدعوة.

مع ذلك، لا يجب أن نبالغ في العلاقة بين الاختيارات في الماضي والحاضر إلى درجة نلغي فيها حرية

الشخص ومسؤوليته، كما تريد كلّ حضارة عديمة المسؤولية (أي تبدو وكأنها تلعب بنفسية الفرد بطريقة سيئة). الحقيقة باستطاعتنا أن نكون غير مسؤولين عن الميول الموروثة من الماضي، ولكننا في كل الأحوال مسؤولون الآن عن العلاقة التي نقيمها معها، وعن ما نفعله لندركها ونفهم جذورها ونضعها تحت السيطرة[15]. وهذا يقرر نضوج الاختيار.

التوجّه نحو المستقبل (عنصر البُعد)

يصبح الاختيار، وخاصّةً إذا كان وجوديًا أو يخصّ نمط حياة يُشرك بطبيعته الوجودَ بكامله، الأساس لكل الاختيارات المستقبلية التي ستصبح هي الأخرى من الماضي. القرار يشبه الإطار: مفصول الحدود ويميّز المساحة الداخلية عن ما يبقى خارجها. على هذه المساحة أن تُملأ بقرارات مستقبلية ستتميز بالنجاح والصدق فقط إذا كانت على نفس خطّ الاختيار الحرّ الأول. "يشترط الالتزام أن لا يدمّر الشخص قراره... بل عليه الحفاظ على موقف واضح في اختيار بديل والتخلّي عن اختيار

[15] Cfr. A. Cencini – A. Manenti, *Psicologia e Formazione. Strutture e dinamismi*, Dehoniane, Bologna 1998, pp. 198-200.

آخر، وهذا التخلّي سيعطي معنى الفرح للاختيار البديل"[١٦].

تدعونا هذه العناصر الأربعة لفهم القرار كتوجّه يضع جذوره في الماضي ويُفرض بحرية على وجودنا بكلّيته. فالحرية والفرض الذاتي يمشيان سوية، لأن فرض شيء على الذات يأتي نتيجة الحرية.

حالما يقرر الشخص، يرى نفسه "مجبرًا" على تفسير الحياة التي سيعيشها على ضوء التوجّه الذي اختاره. وسيصبح قراره مفتاح تفسير المستقبل والحياة ذا معنى إذا كانت فقط أمينة لهذه البداية. أي نقرر ثمّ نستعد للمستقبل. هذا الفرض الذاتي لا يعني خضوعًا باردًا، بل يعبّر عن عنصر التفضيل الذي يتضمنه كل اختيار حرّ. الأمانة للاختيار الأول والتوافق معه يخلق الفرح لباقي الحياة.

---

[١٦] نشير في هذه الصفحات إلى نظرية حول القرار منشورة في الدراسات الحديثة، وهي من واقع الحياة وتجاربها. راجع:
H.B. Gerard, *Basic features of commitment*, in R.P. Abelson, *Theories of cognitive consistency: a sourcebook*, Chicago 1968, p. 457.
ومن بين الدراسات الحديثة في هذا الموضوع، راجع:
P. Cavedini, *Decidere con efficacia. Neurobiologia delle decisioni*, San Paolo, Cinisello B. (MI) 2006.

منطقة مكتشفة في خطر (عنصر السرّ)

مع ذلك وفي كل قرار، وخاصّة المهمة في الحياة، يبقى هناك منطقة مظلمة حيث يقلّ الوضوح ولا تكفي المساعدات والحسابات والتوقعات. ربما إنها النقطة التي يبيّن فيها الاختيار بوضوح علاقته مع السرّ. وحتّى هذه المنطقة تشكّل عنصرًا تأسيسيًا لسرّ الإنسان.

ولهذا نؤكد أنّ "في جذور القرار لا يوجد حسابات رياضية، بل فعل حر يقوم فقط على يقين أخلاقي: هناك دومًا انعدام للأمان الفكري ويمكن تجاوزه فقط بالجرأة والمخاطرة. لا يمكن توقع الأحداث المستقبلية المنفردة من خلال القرار، فالإنسان يخطو خطوة في مستقبل مجهول، ولكن تسنده معرفة طاقاته الأخلاقية وخطّته في التصرف لمواجهة أحداث المستقبل. ولكن يبقى المستقبل حرًا ومسيرة تحقيق مستمرة تضع قدرة التكيّف لدى من يقرر تحت التجربة"[١٧]. ومع ذلك هذا المستقبل، وإن كان خطرًا، ليس اعتباطيًا لأنه ينطلق من التوجّه الذي اختاره المرء بحرية وبثقة عميقة بأنفسنا قبل كل شيء، وبالآخر الذي نقيم علاقة معه ونسلّم حياتنا له، كما سنرى.

[17] A. Manenti, *Vivere*, 209.

وهنا يظهر سرّ الوجود الإنساني وكرامته: أن يسلّم الإنسان مستقبله الذي يجهله في يدي آخر، أو يقول لامرأة: "أعدكِ بالوقوف إلى جانبكِ، أي سأكون أمينًا لكِ في الحلوة والمرّة"، لهو سرٌ كبير ليس مؤثرًا فحسب، بل شيء يستدعي عظمة الإنسان ويُشرح فقط بحبٍ شديد. لأن ما يُفهم فقط بحاجة إلى توسيع ويمكن أن يتّسع لكل الحياة ويكون أقوى من كل تضاد[١٨].

---

[١٨] روى الكاتب مسرولي (M. Missiroli) مؤخرًا هذه القصة الحقيقية لشابين مخطوبين، يهيمان أحدهما في عشق الآخر، أحدهما بعمر ٢٤ والآخر ٢٦، في علاقة منذ أربعة سنوات، هو على وشك التخرّج في كلية القانون، وهي في الآداب. كانا يومًا في مدينة إيطالية على البحر. يروى عنهما قصّة مصيرٍ أعمى ومدمّر للمشاعر وكأنه منع استمرار هذا الحبّ. بينما كانا على البحر سويةً، يضحكان ويحضنا بعضهما. "اتّخذ مصيرهما صيغة موجتين أعلى قليلاً من العادية ولكنهما غريبتين، غاضبتين وسريعتين. أمسك هو بها، سحبها إلى سطح المياه وأراد أن يهمس لها في أذنها "لن أتركك ... أحبكِ"، ولكنه لم يقل الجملة كاملةً، إذ توقف صوته عند جملة "لن..." لأن الموجتين ضربتاه بقوّة، فظنت هي أنه يداعبها فضحكت. فسقط الاثنان تحت المياه، هي قامت مباشرةً ولكنها لم تستطع التوقف عن الضحك، أمّا هو فلم يقم مرةً أخرى، حتى عندما قالت له: "لا تكن سخيفًا...". أدارت جسمه فرأته قد أصبح بنفسجيًا، فسألته ما بك؟ وجاءها الجواب بعد أربع ساعات في المستشفى عندما أبلغها الأطباء باصابته في العمود الفقري وبالشلل الرباعي للأبد. وهنا يحتاج شجاعة العالم وكل الحبّ الذي يوجد فيه لمواجهة هذا

لا نفهم حقيقة لماذا يريد العالم اليوم أن يجعل حياة هذه الخبرات فقيرة ويحرمها من هذه المشاعر، ففيها يسكن جمال الوجود الإنساني. الحبّ "إلى الأبد" قد يخيف، ولكنه خوف سليم مثل الخوف من السرّ الذي قد يجلب دوار الرأس، بالمعنى الحقيقي للكلمة، يجذب الشخص ويضعه في خطر، ولكن في الانجذاب والمخاطرة من السرّ يكمن القرار. إذا لم يخف الشخص من السرّ، بل من القلق من خسارة احتمالات أو بدائل أخرى عليه التخلّي عنها، عندها لن يوجد قرار بل انهيار أناني وعقيم.

الواقع. حتّى إذا قال أحدهم إن الحبّ لا يكفي، لأن المصير أقوى من الحبّ أحيانًا. جربت المصير بكل الطرق: ستة أشهر في المستشفى، فزع مستمر، جمود على شكل استسلام، مناشدة الموت، إلى القول أخيرًا: لا أريد أن يحبني هكذا وجسده لا أعلم أين سينتهي. حاولت بكل الطرق أن تنهي أكبر حبّ في العالم، ولكنها وجدت جملة في رواق المستشفى في الليل، قرأتها بدموع غزيرة، إذ كتبَ فيها "لكنني سأحبكِ أكثر". (باختصار وتصرّف من المترجم)

(M. Missiroli, *Far bastare l'amore: un'avventura di giovane coraggio*, in *Avvenire*, 8/1/2009, p. 24)

نوع من يقرر

بيّنا بصورة تجريبية أن القرار، أو الشجاعة لاتّخاذ القرارات، يخلق سمات دائمية لا تتوفر عند المترددين[١٩]. من يقرر بناءً على قناعات، ينضج إنسانيًا.

❖ **أكثر قدرةً على الثبات والأمانة:** يعرف باسم القيم التي اختارها بحرية، كيف يتخلّى عن الإشباع الآني لحاجاته، ويتحمّل توتّر الوصول إلى الهدف، لأن له القدرة على التخلّي عن أشياء تعجبه ولكنه مضللة في الوقت ذاته.

❖ **أكثر قدرةً على الصمود أمام المحن:** لأن قوة القيمة التي قبلها في حياته تسنده، وبها يتخطى التردد الناتج من خوف الفشل ويبتعد عن الحذر الوهمي الذي يبعده عن عيش الخطر. وباسم القيمة التي اختارها، يكون مستعدًا أكثر على القيام بوجبات صعبة وإن تضمنت احتمالية الوقوع في الفشل.

---

[19] Ph. G. Zimbardo, *Cognitive dissonance and the control of human motivation*, in Abelson, *Theories*, pp. 439-447.

❖ ثالثًا، **القرار يؤهل الشخص ليكون عاملاً كبيرًا في التغيير الاجتماعي:** لأنه لا ينتظر مساندة المجتمع، بل يؤثر هو في الآخرين ويغيّر محيطه.

❖ **إنه شخص يعيش العلاقة بصورة جيدة**، إذ يملك المصداقية في نفسه، بقوة الثبات الذي تكلمنا عنه، وهو من النوع الذي يعطي الثقة للآخر، لأن اتّخاذ القرار مرتبط بالثقة، كما سنقول الآن.

الفرق عن القرار المسيحي

اعترف بأن القرار جميل ومهم وحتمي ولكن الشباب لا يتّخذونه، وخاصّةً شباب اليوم، إذ يتحسسون في اتّخاذ القرار. فالقرار يصنع المشاكل، وخاصّةً القرار المسيحي واختيار الدعوة – إذا كان ممكنًا. الاختيار المسيحي[٢٠] خاصّ جدًا، لا يشترك مع باقي القرارات سوى في الاسم:

---

[٢٠] استغل هذا الجزء، مع بعض الاضافات الجوهرية، لأضيف تأملي الذي نشرته قبل فترة وجيزة في:

A. Cencini, *Chiamò a sé quelli che volle. Dal credente al chiamato, dal chiamato al credente*, Paoline Editoriale Libri, Milano 2003, pp. 41-45.

إذا طبقنا عليه بعض المعايير، يبدو عندها أنه قرار طائش ويبقى من دون إجابة.

القرار الإنساني

القرار الإنساني الكامل لابدّ أن يكون:

واثقًا

يقلل الخطر إلى الحدّ الأدنى. من بين كل القرارات، الأفضل هو الذي يحمي نفسه من الخطأ وخطر الوقوع فيه. ومن هنا تأتي أهمية البحث عن الطرق المتاحة ليس لتنظيم المستقبل فحسب، بل لتوقعه أيضًا انطلاقًا من الشخص نفسه ومن ثقته بما يستطيع فعله. أيّ اختيار يتوقع أداءً يفوق قدرات الشخص لابدّ من تجنبه تمامًا، يكمن الخطر في عدم اختيار ما يتطلب عطاءً أكثر وفي إعادة القيام بأمور سابقة دائمًا، في نوع من الاستنساخ الذاتي النفسي.

بأقلّ كلفة

يُفضّل، حسب المنطق الإنساني البحت، القرار الذي يصل إلى الهدف بأكثر فعّالية وبأقلّ الخسائر. يبدو معيارًا منطقيًا جدًا، إذ يقضي على خوف تعقيد الحياة وينتهي

غالبًا بتوجيه القرار نحو أهداف غير ملزمة كثيرًا، أو يقلل بصورة تدريجية مستوى أو نوعية الطموحات.

دقيقًا وواضحًا

على الاختيار أن يكون أيضًا دقيقًا وواضحًا قبل تحقيقه وفي كل تفاصيله: لابدّ من تحليل الأهداف النهائية والوسيطة من البداية لتقليل التهوّر في مرحلة تحقيق الاختيار واستبعاد أمور غير متوقعة كثيرة في المستقبل. يبدو هذا الادّعاء عقلانيًا وحذرًا، ولكنه يترك سؤالاً واقعيًا: هل يمكننا القيام باختيار يستطيع توقّع كلّ شيء؟ إنه نوع "إنساني" حقًا من القرار، حيث يوجد منطقة مكتشفة لا يستطيع الحساب أن يتوقعها أو يتحكم بها؟

قابلاً للمراجعة (ذي وجهين)

كما رأينا أعلاه، القرار الإنساني المحسوب في توقعاته إلى أقصى حدّ، يترك غالبًا مخرجًا للأمان، فيفتح الباب "٢" في حالة لم يفتح الباب "١" لأسباب عدّة. في الحقيقة إنه اختيار مخيف نتيجة الأمور المطلقة، غير قادر على الترك، قلق أو مشكك في مَن يختار ولِمَن "يسلّم" حياته...

الخوف من "إلى الأبد" يجعل الاختيار بلا مصداقية ويخلق احباطًا في من يقوم بالاختيار.

القرار المسيحي

لابدّ للقرار المسيحي أن يكون:

خطرًا

يبقى في كلّ قرار مجال لعدم استقرار الفكر، ليس فحسب كما رأينا، لأن المرء يتجاوزه بالجرأة والمخاطرة أو بمساعدة نفسية أو روحية تقدمها وتضمنها الثقة أو من الإيمان الذي يدعو الشخص للثقة بالله.

في تمييز دعوته المسيحية، يواجه المؤمن أكبر خطر يمكن أن يواجهه أي إنسان: اكتشاف إرادة الله. ويشتدّ عليه الخطر بسبب العزلة الوجودية التي يجد فيها ذاته بسبب قراره شخصي. كما يقول مويولي في تعليمه على خطى القديس اغناطيوس دي لويولا، إن لا وصية ولا قاعدة خارجية، ولا رأي أو نصيحة من أشخاص آخرين حتّى من المرشد الروحي، تمنح الشخص اليقين عندما يقرر فعل ما يريده الله منه. "القرار هو تمييز شخصي،

ينبع في الواقع من الشخص ذاته. ولا يُستبدل بالتمييز الذي يقوم به المرشد الروحي أو يفرضه بقوة سلطته، بل ينحصر دور المرشد في تثبيت المؤمن على اختياره الشخصي. إنها في النهاية عملية شخصنة طاعة الإيمان في الواقع. وفي هذا الصدد لا يستطيع أن يستبدل الشخص ذاته الذي يريد أن يطيع.

المساعدة في إعطاء دافع روحي حقيقي تنبع من السؤال: "هل من الخير أن أقرر هكذا"، وأن أقول أيضًا: "واجب عليّ". ولكن أنا من يجب أن أرى، وبعد أن أرى واقتنع من الداخل، أقرر بالفعل"[٢١] كل ذلك يبرز ضرورة وتعقيد مهمة الإرشاد الروحي الذي يوجّه ويسند ويساعد في تطهير الدوافع وتحرير القلب من التعلقات المتنوعة، الإرادية واللاإرادية، ولكن بعيدًا عن كل محاولة (استبدادية أو تطوعية) تجعل القرار أقلّ استقلالاً وشخصيًا فقط بسبب طاعة الإيمان.

[21] G. Moioli, *Discernimento spirituale e direzione spirituale*, in L. Serenthà – G. Moioli – R. Corti, *La direzione spirituale oggi*, Ancora, Milano 1982, pp. 66-67.

بأكثر كلفة

من بين أفعال كثير، يُفضل في القرار المسيحي الفعل الذي يعطي إلى أقصى حدّ، حتّى وإن طلب مني يومًا ثمنًا يتوجب دفعه وكمًّا كبيرًا من الحبّ وإن قوبل بنتائج صغيرة. يدور الاختيار الذي نقوم به باسم الله، الذي يجذب قلب الإنسان، حول قيم مثالية عليا ليجعلنا نعيش في واقع يتّسم بمحدوديات مختلفة تصبح مطلقة في لحظة الموت.

يصبح القرار مسيحيًا عندما يعبّر عن هبة الذات، عندما يقدّم الشخص ذاته دائمًا حتّى عندما يتطلب منه التخلّي وثمنًا باهظًا. عندئذٍ يتطلب التوافق بين مستويين: مستوى التخلّي المكلف ومستوى الحبّ والرغبة. وكلما كان الثمن باهظًا، كلما يجب أن يكون الحبّ أكبر، إلى أن يتفق قمّة التخلّي عن الذات مع قمّة هبة الذات. لذلك، يمثّل كلّ قرار رمزًا للموت، لأن في نهاية أيام الإنسان ستلمس المحدودية والتخلّي أقصى نقطة في القمّة، وسيكون من الضروري "عيش" تلك اللحظة (والاستعداد لها) واعطاؤها أكبر قدر من المعنى، من خلال الذهاب للقاء الموت كخاتمة لحياة أصبحت تدريجيًا هبة، كلحظة القمّة في اختيار الدعوة الشخصية.

دقيق ولكن غير واضح تمامًا

على القرار المسيحي أيضًا أن يكون دقيقًا، ولكنه لا يكون واضحًا في كل تفاصيله، إلى درجة أنه يترك المجال للتوقعات ولكل مفاجأة: فلابدّ للقيم التي قبلها الشخص في البداية أن تكون موضوعية وواقعية، ولكنها لن تكون واضحة بالكفاية فيما بعد، فكل خطوة في تحقيقها تعني واجبًا جديدًا، ويتوضّح الاختيار تدريجيًا عندما يتحقق في مسيرة تنشئة دائمة.

نكرر أن التمييز والقرار لا يعنيان التنبؤ بالمستقبل ومعرفته بصورة أكيد ومسبقة، بل يعني معرفة قراءة اتجاهات الحاضر، وما هو أبعد منه، وقراءة التوافق بين ما يُقرأ وحقيقة أن يكون المرء مسيحيًا، بين ما يخمنه المرء وتحقيق تلك الحقيقة في مشروع حياة. حيث "أنا" (أي كياني المسيحي الآن وهنا) يُعتبر مهمًا، "بل "مكانًا" وحقيقة لابدّ من إيجادها. لابدّ من القيام بذلك مسيحيًا، ولابدّ من الحذر عند القيام به. فالله يريد أن أقوم به، ومن خلال القيام به لا أجد الأمان فيه، بل أجده من خلال الثقة في الله"[٢٢]. ونحن من جديد على الحجر الأساس من بناء

[22] Moioli, *Discernimento*, 64.

قرار المؤمن: الإيمان الذي يصبح ثقة. الاختيار يزيد الثقة، فهو صوت الفعل "يثق".

نهائي (وواثق)

يُبنى القرار المسيحي كلّه على الثقة في الله وفي سرّه، كما ذكرنا في البداية، وهي ثقة تنبع من ثقة الله بي. إن الله طيب، كما قلنا، لأنه يكشف عن ذاته، وهو صديق لأنه يأتي للقائي، ويدعو لأنه اختارني قبل أن أختاره.

هذا هو التناقض الذي نجدهُ في الدعوة: نحن نتأمل في القرار الذي نتّخذه وكيف نربّي الشباب على اختيار دعوتهم. ولكن الأمر يتعلق أكثر بأن نترك أنفسنا تختار، أن نربي على حرية الثقة بالحياة، وهي قمّة حرية الإنسان. وهي مرتبطة بطبيعتها بخبرة الشخص، كما سنرى فيما بعد، وخاصّة بالخبرة الروحية في علاقتها مع الله الذي يدعو لأنه يحبّ، وهو دعاني من الأبدية، أي أحبني منذ الأزل وفضّلني على عدم الوجود. إنه لسرٌ عظيم!

كيف لا أثق بهذه الإرادة الطيبة التي اختارتني مسبقًا ودعتني إلى الحياة، عندما لم استحق على الإطلاق كلّ هذا؟ عليها توكلتُ منذ الأزل، وأعيش فقط لأني بين

يديها. لذلك، من الطبيعي الاستمرار بالثقة، أن أدع الله يختارني لأنه يريد خيري وسعادتي، حتّى عندما يطلب مني شيئًا صعبًا ومكلفًا، أو شيئًا أكبر من قدراتي أو من المنطق الذي يخضع لحسابات واضحة...

عند هذه النقطة، أفهم ما هي الثقة: أصبحت الثقة مساحة القرار التي لا تشغلها حسابات العقل بل عليها أن تتركها حرة. لكل أنواع القرار: من قرار الإيمان إلى قرار اختيار الدعوة، لن يكفي حسابات العقل، بل فقط الثقة هي من تحتل هذه المساحة. ويصبح اختيار الدعوة وخاصّةً المسيحية من دون الثقة، بلا معنى ويتوجه إلى الفشل. لأن الدعوة المسيحية تعبير عن الثقة وتأتي من خبرة الله الذي يمكن الثقة به[٢٣] (أو الإله الطيب) ويقود إلى الخبرة ذاتها.

إذا لم تحتل الثقة هذه المساحة، سيشغلها شخص وهمي أو قراءته الذاتية للحياة مع المخاوف والشكوك والتفسيرات الناقصة التي نعرفها. ولكن إذا احتلت الثقة هذه المساحة، مستبعدة حسابات العقل، سيكون الاختيار

---

[٢٣] إنه عنوان كتاب مشهور:

P. Sequeri, *Un Dio affidabile. Saggio di teologia fondamentale*, Queriniana, Brescia 1996.

كاملاً وجذريًا ولا رجعة فيه، مثل كل الاختيارات التي تنطلق من الحبّ ومن الشعور بأننا محبوبين.

ملاحظة أخيرة ومهمة: إذا قارنا بين القرار الإنساني والمسيحي، وتذكرنا العناصر التاسيسية للقرار (من الرغبة إلى منطقة الخطر)، يبدو لي أن قرار المؤمن يمثّل القرار الحقيقي والصادق، والمعنى الحقيقي للقرار الذي يعبّر إلى أقصى حدّ عن تلك العناصر الأساسية أكثر من القرار الذي أطلقنا عليه صفة إنساني وغالبًا ما يكون خائفًا وظاهريًا فقط، إذا وضع نصب عينيه أن يتوقف أو ادّعى إلغاء منطقة الخطر أو افتقر إلى الثقة.

فلنرَ في هذا الجدول باختصار الفرق بين هذين النوعين من القرار.

القرار الإنساني	القرار المسيحي
واثق	خطر
بأقلّ كلفة	كلفته باهظة
دقيق وواضح	دقيق ولكنه غير واضح أبدًا
قابل للمراجعة	نهائي وواثق

التربية على القرار

سبق وقلنا أمورًا عديدة مهمة على مستوى التربية، سنحاول الآن ببساطة وضعها بالترتيب، دون أن ندّعي بتقديم استعراض كامل عن منشّط الدعوات، متذكرين ما قلناه في البداية: يعتمد تنشيط الدعوات على أمانة الشخص لدعوته، ويظهر من نوعية الحياة الروحية والتنشئة الدائمة. ولذلك على صعيد الأبرشية والمؤسسات الكنسية، استثمار تنشيط الدعوات بصورة صحيحة أمرٌ رائع وغير مكلف، يتطلب تشجيعًا على مستوياتٍ عدّة ولكنه يتحوّل فيما بعد إلى المركز ويذهب إلى الجوهري.

أوليسيس وأورفيوس

سننطلق من صورة أسطورية، بل من صورتين نضعهما الواحدة إزاء الأخرى. ونمرّ في مسيرة التربية الصعبة (التي تتسم بحالة طوارئ)، من صورة الأسطورة "أوليسيس" إلى الصورة الأكثر اعتدالاً "أورفيوس". لكي لا يستمع أوليسيس إلى موسيقى القراصنة ويقاوم سلطتها المغرية التي تريد أن تستولي على سفينته في البحر، ربط نفسه على عمود السفينة، ووضع الشمع على آذان

بحّارته لكي لا يسمعوا شيئًا ويقعوا في التجربة. وبهذه الحيلة تجاوز هذه الصعوبة على الرغم من قوة جذب المشاعر. إنه يتجاوزها من دون أن ينمو من الداخل، لا بل شعر بخسارة فرصة فريدة لأشباع نفسه. فهو لم يواجه الصعوبة، ولم يسمح لاتباعه بمواجهتها، ولم يكن خائفًا بل يمكننا القول إنه كان حذرًا ومدركًا لمحدوديته، ولكنه ليس ناضجًا من الداخل ولم يساهم في إنضاج أتباعه. إذ أظهر من خلال وضع الشمع في آذانهم عدم ثقته بهم وبنفسه أيضًا. هناك عنف نفسي في تصرفه لأن عنصر الإماتة (التخلّي) يبدو خاليًا من عنصر التفضيل (الرغبة).

بينما أورفيوس تصرف بطريقة مختلفة تمامًا: واجه الصعوبة وجهًا لوجه. ورث من أبيه كهدية آلة موسيقية مدهشة، وهي القيثارة، وتعلّم العزف عليها بطريقة لا يمكن وصفها سوى بالإلهية. عندما وجد نفسه بالقرب من جزيرة القراصنة، تحداهم بآلته وبجمال العزف عليها. وانتصر بألحان قيثارته على ألحان موسيقاهم المغرية وساعد مرافقيه في عدم السقوط في فخّ اغرائها. لأن موسيقى قيثارته كانت أجمل من أغنية القراصنة. وصار مفضلاً (لأن عنصر التفضيل قوي ويعطي قوة للتخلّي).

وثق أورفيوس برفاقه، ووثق أولاً بنفسه وفي القدرة الجذابة لما هو جميل أكثر من القراصنة وحيلهم.

ذكرنا الآن جوهر مسيرة القرار. يمكننا أن نحتفظ بهذه الصورة في خلفية تأملنا، كنموذج لمنشّط الدعوات الذي يستطيع أن يولد فقط من منطق الجذب والحرية الداخلية وتفضيل ما هو جميل وصادق وجيد، وليس من الإكراه وانعدام الثقة.

إن منشّط الدعوات صورة معاصرة لاورفيوس، عازف القيثارة. فلنرَ هذه النقطة في الواقع.

مبدأ عام: تشجيع المسارات الدائرية (الروحية والنفسية)

يحمل حديثنا معنى مزدوجًا: لاهوتي ونفسي، أو ديني وإنساني. وسيتطرق إلى تشجيع المسارات الدائرية وتوافق الجانبين، لأن الواحد يطلق العنان للآخر، في تسلسل أحداث فريد وثابت. إنها روعة تحدي عملنا الذي لابدّ أن يسير دومًا على هاتين الجبهتين، من خلال اتباع المسارات الآتية لتحقيق هذه المسيرة الدائرية بين الديني والإنساني.

منح الثقة (من المشكلة الدينية إلى النفسية)

من الضروري أولاً الاهتمام بإنسانية شبابنا. تكلمنا عن الثقة كعنصر تأسيسي وبالتالي ضروري للقرار المسيحي بصورة عامة. أما الآن، فالثقة ليست شيئًا يولد داخل الشخص بصورة عفوية، بل هي ثمرة تربية، وخاصّة التربية الأولى للشخص، وبحسبها – كما يقول لنا علم النفس التطوري – على الطفل أن يخرج إلى الحياة بمعنى الثقة. بكلماتٍ أخرى، على الأهل أن يقبلونا بصورة غير مشروطة، ومن هذا القبول يولد تقدير الذات الذي تشكل الثقة جزءًا أساسيًا منه ونتيجة له: الثقة في النفس، في الآخرين، في الواقع، في الحياة، في الله... الثقة كركيزة إنسانية لا غنى عنها.

تقبّل لا مشروط

نجد اليوم، مع الأسف، شباب كثيرين لا يملكون هذه الخبرة العائلية منذ الطفولة. لا يحتاج أن نتكلم كثيرًا لنفهم هذا وضعنا الحالي حيث عوائل منقسمة، علاقات مجروحة، أبناء غير محبوبين، أبناء بحسب ذوق أهاليهم (بالتالي مقبولين بشروط معينة)، أيتام حقيقيين ونفسيين، عزلة داخل العائلة ذاتها، تربية لا تعلّم عيش الاختيار بل

تربية تافهة وفارغة غير مبالية وبلا قيم، علاقات مهووسة تجبر على البقاء أطفالاً أو كأقصى حدّ مراهقين يعانون من تناقضات شاذة داخل العائلة...

من الضروري فهم الوضع من دون إلقاء الذنب على أحد، ولا اعتبار العمر الجسدي متوافق دومًا مع العمر النفسي، بل على العكس أن نفهم ما ينقص أي هذه الخبرة البدائية من القبول غير المشروط، وبالتالي محبة الشخص كما هو وليس لأنه يعجبني أو يعطيني صورة جميلة عن نفسه. ليس منشّط الدعوات طبيبًا نفسيًا ولا مستشارًا، ولكنه مؤمن إذا اختبر حنان الله الأبدي ويفهم ضعف الإنسان ويعبّر بحنانه عن الله الذي يحبّ كلّ ابن له.

إنها أول علامة لهذا الحنان الإلهي الذي يعبّر عنه حنان الإنسان، وهو استعداد الأخ الأكبر الذي يقف إلى جانب أخيه الأصغر في مسيرة تمييز دعوته.

المبدأ الجوهري واضح وبسيط: إذا لم يحصل الفرد على خبرة إيجابية من القبول غير المشروط في ماضيه، فالمساعدة الأفضل أن نقبله بلا شروط الآن.

هذا هو الحنان الذي يحتاجه، يحتاج أن يقوله المنشّط في الواقع: عاطفة صادقة، تكريس وقت، اصغاء يتقبل

الآخر، موقف إيجابي، صبر مقرون خاصّة بالاحترام لروتين حياة الآخر وبانتظار نموّه. ولكن لا ننسى في الوقت ذاته، أن تقبّلنا، مع كل ما يحمله من حنان، ليس سوى وسيلة (كما ذكرنا أعلاه) لنجعل الآخر يكتشف الحنان الإلهي مثل علامة. فلا شيء يعمل لذاته أو يبقى محبوسًا داخل علاقة بين اثنين.

الكلّ في الجزء، قوّة الضعف

وهناك هدف للقبول غير المشروط بالنسبة للقائد وهو خطوة إضافية وحاسمة في مسيرة المرافقة الشخصية: أن يقود الشخص إلى اكتشاف علامات حبّ الله داخل تاريخه البسيط. حتّى إذا كان تاريخه متعبًا ومتناقضًا، أو لم يتلقى قبولاً إنسانيًا من الأساس، ففي كل الأحوال كان الله حاضرًا فيه. وبالتالي يُظهر القائد هذا الحضور حتّى وسط الجروح التي يعيشها الشخص، من خلال تشخيص هذا الحضور في أفعال بسيطة من المحبة، وفي علامات لا تجذب الأنظار من أشخاص خارج نطاق العائلة، وفي أحداث وظروف استثنائية تحاول أن تداوي هذه الجروح، ومن خلال وسائط إنسانية متسمة دومًا بالمحدودية وعدم الكمال ولكنها تذكّر دائمًا أن كلّ تاريخ إنساني هو تاريخ حنان الله، وللمؤمن كلّ الحق أن يعرفه هكذا.

توجد هنا مسيرة روحية مهمة تتطلب تدريبًا صبورًا وخاصًّا. من الضروري أن يتعلم الشاب في كل مرة أهمية اضفاء قيمة لاهوتية على أيام حياته، وبصورة واقعية من خلال حركات وعلامات ووجوه وأحداث ووسائط وجروح... ويحتاج أن يتعلّم اكتشاف محبة الله ليس فقط في علامات واضحة وآنية وأحيانًا فائقة الطبيعة، بل أيضًا في تناقضات الحياة وحيث يصل الحبُّ إلى أدنى مستوياته، فيصبح فقيرًا ومفتتًا... لأن حبّ الله هو كلّ شيء، حتّى وإن شعرنا أحيانًا بصعوبته أو بوجوده بصورة ظاهرية أو غامضة أو صغيرة جدًا.

على عكس ما نتصور، سيكون هذا الحبّ مدهشًا أكثر إذا اكتشفه الشخص داخل قروحات واقع ضعيف وخطير، وأكثر اقناعًا إذا كان اللطف قويًا بحيث يصل إلى الإنسان حتّى من خلال وسائط غير متوقعة بل متناقضة، وأكثر مصداقية إذا كان الشعور بأننا محبوبين من الله وصلَ في ختام مسيرة معاناة مصحوبة بندوب بسبب بعض خبرات حبّ إنسانية فاشلة. بالضبط في هذه الظروف يصبح الحبّ الإنساني الضعيف سرًا يكشف عن سرّ الله الكامل الذي يتحمّل الوسائط غير الكاملة.

إنه الدرس اللاهوتي الذي يقدّمه فون بالثازار[٢٤] عن "الكلّ في الجزء"، وأعاد صياغتها فاريلون[٢٥] قائلاً: "أن لا نُحاط من الكبير جدًا، ونكون مع ذلك موضوع الصغير جدًا، فهذا من الله"[٢٦]. ولكنه أيضًا قصد عالم النفس امودا: "أن تُسلَّم كرامة الإنسان، صورة الله نفسه، وتُبنى على علاقات هشّة مع أشخاص آخرين يخلق ضعفهم أوهامًا ومحدوديات واعتداءات، وفي الوقت ذاته أن تصبح هذه العلاقات الإنسانية الهشّة بالضبط القناة والوسيلة لتأسيس هذه الكرامة أو إعادة تأسيسها، لهو أمرٌ مدهش ومرعب"[٢٧] وسرٌ عظيم!

إنها مسيرة طويلة ومتعبة، وخاصّةً في الخطوات التي يغيب فيها الوضوح، ولكنها في كلّ الأحوال ضرورية في مسيرة نضوج الإيمان، وخاصّةً في حياة من يختار بشجاعة وثقة. وعندها فقط تصبح حقيقة الإيمان (انطلاقًا من محبة الله كحقيقة بدائية) حقيقية ومتجسدة في التاريخ

---

[٢٤] كاهن لاهوتي سويسري، تعتبره الكنيسة الكاثوليكية من أكبر لاهوتيي القرن العشرين (المترجم)

[٢٥] لاهوتي يسوعي فرنسي.

[26] F. Varillon, *L'umiltà di Dio*, Ed. Qiqajon, Magnano 1999, p.60.

[27] F. Imoda, *Sviluppo*, p. 338.

الشخصي، ذي مصداقية وأمينة، فيلتصق بها الشخص ليس لأن أحدًا قال له هذا، ولا لأنه قرأه في الكتاب المقدس أو في حياة القديسين، بل لأنه لمس هذه الحقيقة بيده وشعر بها بأحاسيسه، والتقى بها واصطدم بها في طريقه. عند هذه النقطة، في ماضٍ طويل مليء بشكوك وحقد، ليس فحسب، تصبح قصة حنان الله المغرم بالإنسان شيئًا فشيئًا مصدر ثقة الإنسان بنفسه.

إذًا، المشكلة النظرية تصبح تاريخية، أو المسألة اللاهوتية تصبح نفسية. وهي المرحلة الأولى لتلك المسيرة الدائرية التي تكلمنا عنها في البداية.

وبفضل هذه المسيرة نبدأ بناء القدرة على القرار على صخرة اليقين بأننا محبوبين بمحبة الله الكبيرة على مدى التاريخ ومن خلال قصص الحبّ الإنسانية الهشّة.

قراءة السرّ

عند هذه النقطة، يصبح مهمًا جدًا الانطلاق من الامكانيات الأساسية: تعلّم القراءة والكتابة مع إدراك الوجود أمام سرّ، لكي يواجه الشاب الواقع ويكتشف فيه المعنى العميق، ولا يتوقف عند الجانب الخارجي أو السطحي منه. لا نستطيع حتّى أن نتخيّل كيف تتغيّر حياة

شاب إذا تعلّم هذا الفن وتآلف مع السرّ. نتكلم هنا عن السرّ كعنصر مفسِّر، أي كطريقة لإدراك وتفسير الواقع في مواقف وعادات وفي الأمور كلّها، واكتشاف معناها العميق وجانبها المخفي وتأثيرها في حياتنا. من الممكن أن ننطلق من الأحداث المعتادة واليومية، الأكثر قربًا من الشابّ، ودائمًا ضمن منطق الكلّ في الجزء.

فلنفكر، على سبيل المثال، كم من المهم لشاب تعلّم التفكير في رغباته وفي بحثه عن السعادة وفي تاريخ بحثه الشخصي، وأمله بالحصول عليها بطريقةٍ ما وفي ظروف معينة من أشخاص معينين وعلاقات معينة، ونتيجة هذا البحث مع ما تحمله ربما من إحباط... أو التفكير في الألم أو معنى العلاقة مع الآخر، مهما كان، أو مع الله، وكيف أن البحث عن الفرح أو مشكلة الألم يجدان الإجابة من العلاقة مع الله... إذا كان صحيحًا ما قلناه في البداية، إنّ الإنسان لا يُعرف مما يفعله أو يقوله أو مما يخشاه ويرغبه (أو يدّعي بأنه يرغب فيه)، ولا مما يفكر فيه عن نفسه أو ما يقوله الآخرون عنه، وهناك دائمًا في الإنسان ما يتجاوز مستوى إدراكه بصورة آنية، علينا عندها أن نعلّم طعم التعرّف على السرّ في كل الظروف

والأحوال، وفي كل شعور وإحساس، وفي كل خوف ورغبة وكأننا في بحث مستمر عن الكنز.

إن العلاقة مع الحياة من دون علاقة مع السرّ تفقد طعمها وحيويتها، وتصبح تافهة وتجعل الإنسان تافهًا، وخاصّةً الشاب الذي يحتاج إلى إشارات في حياته. كما يؤكد الفيلسوف مانتشيني: "تربية الشباب دون سحر القصّة وحسّ اللامرئي، ودون مغامرة ولا شعر، واقناعهم بوجود الوقائع فقط... يعني أن نحول حياتهم إلى صحراء"[٢٨].

نحتاج إلى الرجوع والتأمل وتعليم التأمل في الكبير، حول خلفية السرّ.

تحويل المخاوف والعوائق (من المشكلة النفسية إلى الدينية)

كلنا نعرف المخاوف التي تملأ حياة الشاب اليوم. من جهةٍ أخرى، ليس غريبًا أن يكون المرء خائفًا اليوم. ففي الصحف والتلفاز تحريضٌ حقيقي على الخوف: من المسلم، من المسكين (المهاجر) الذي يصل إلى أراضينا،

[28] R. Mancini, *Gli uomini, storie in cerca di compimento*, in *Avvenire*, 13/1/2009, p. 23.

من المختلف، من المستقبل، من الأزمة، وحتّى من الأبناء والزوجات، من المدير والموظف... وبالتالي يقلق الشباب اليوم أمام عالم معقد وفظيع للغاية، ويفزعون بمجرّد التفكير في المستقبل. مع ردود أفعال فريدة، كعناد الشاب أمام اختيارات قوية وملزمة في الحياة، أو أمام اكتشاف الحبّ الذي قبله في تاريخه، ربما لكي لا يشعر بمسؤوليته عنه.

كيف نتعامل مع هذا الوضع تربويًا؟

من المهم في البداية تعليم الشاب على الشجاعة في مواجهة مخاوفه، أي دعوة الشاب أن يعترف بها، يعطيها اسمًا ويعرف جذورها، إذا كان ممكنًا، ونتائجها في ظروف الحياة المختلفة. ويحاول أن يكون على دراية بها، فبهذه الطريقة يمكنه التحكم فيها. فما نجهله عن أنفسنا يتسلّط علينا كثيرًا.

ولكن الخطوة الحاسمة شيءٌ آخر: إنه تحويل الخوف النفسي ببطء إلى قلق كتابي، أو المقاومة النفسية إلى استسلام روحي. وهذه هي الخطوة الثانية من المسيرة الدائرية والمكملة للأولى: تلك أكثر استنتاجية وهذه أكثر تشجيعية. قد تبدو عملية غريبة وجريئة، ولكنها نتيجة

قراءة السرّ. وبالتحديد إذا كان للخوف جذور نفسية (نبحث عنها في الماضي أو في الشخصية ذاتها)، فكل خوف يخفي حتمًا خوفًا من الله (كما أن كلّ رغبة هي في جذورها رغبة في الله). الأمر ذاته مع كل خوف بشري: إذا كان الشاب، على سبيل المثال، يخاف أن يكتشف في داخله ظلمًا أو انحرافًا، يُحتمل أنه يخاف أيضًا من حكم شخصٍ ذي سلطة وبالتالي من حكم الله. إذا كان خائفًا من المستقبل، فهو يخاف ممن أعطاه الحياة، حتّى وإن كان غير مؤمن فهو يخاف ألاّ يُعطى نعمة حقيقية. إذا كان يخاف من الآخر فهو يخاف من الله، الخ.

ولكن من المفيد جدًا هذا الاكتشاف لأن الخوف عندها، مهما كان غريبًا، يصبح تحت السيطرة وأكثر وضوحًا في معناه الجذري، أقلّ صعوبة وأقل تعقيدًا وقابلاً للحلّ، فداود لا زال محقًّا في قوله: "فلنقع في يد الربّ، لأنّ مراحمَه كثيرة، ولا أقع في يد الناس" (٢ صموئيل ٢٤/١٤). وتصبح الخبرة النفسية خبرة دينية واقعية، والصراع النفسي عديم المعنى كالصراع الداخلي أو الصراع ضدّ جزء من الأنا، يصبح صراعًا دينيًا سالمًا وكتابيًا وممزوجًا بمحبة الله... وعلى المرء أولاً وآخرًا

أن يصارع وأن يخسر عندما يستسلم أمام هذا الحبّ ويترك نفسه له ويتّخذ قرار الاستسلام أمام الله.

في هذه الحالة، يصبح الخوف ثقة، والمقاومة استسلامًا، والاستسلام وجهًا آخر لثقة مَن يستسلم. وهذا يجعل الشخص أكثر حرية ليقوم باختيارٍ ما.

هذه أيضًا مسيرة طويلة ومتعبة تتطلب خبرة معينة في القيادة وقوة معينة في تقوية هذا الصراع مع الإلهي المعروف من جميع أصدقاء الله الحقيقيين، وجميعهم يصارعون الإلهي كما تروي لنا أسفار الكتاب المقدس.

وهي في النهاية فن تربوي لمرافقة هذه المسيرة دون سذاجة الرغبة في الابتعاد عن الصراع مع الله. فالدعوة ثمرة هذا الصراع أيضًا.

إعلان "شخصي" جدًا

أعتقد أيضًا أننا مدعوون لإعلان شخص محدد، وهو يسوع المسيح، علينا تقبله في وحدته وفرادته. وليس من البديهي التأكيد أنّ هذا الأمر يشكّل جزءًا من تربية الدعوة الصحيحة.

إعلان شخص

هذا ما أكّده البابا: "أن يكون المرء مسيحيًا، هذا لا يأتي نتيجةَ خيار أخلاقي أَو فكرة سامية، بل كنتيجة للقاء بحدث، بشخص، بمن يُعطي الحياة أفقًا جديدًا وإتّجاهًا حاسماً"[٢٩]. تكتسب مرافقة الدعوة معنىً فقط إذا كانت جزءًا من حدث اللقاء القوي والعطوف مع شخص يسوع المسيح. يقول رئيس أساقفة روسانو، القديس مارسيانو، مستشهدًا بالقديس بولس: "حدث دمشق كشفَ لشاول، وإن لم يعلم، أنه في الحقيقة يضطهد ذلك الذي سيصبح "الأنت" في حياته. نستطيع القول: كمضطهِد ولأنه مضطهِد، فرض عليه علاقة مع شخص. هذا ما لم يعرفه بولس، ولكن عندما أنارت هذه الحقيقة عينيه، انتصر الحبّ إلى الأبد"[٣٠].

هذا يعني أن المسيح يُعطى في كلّ الأحوال، لأن لديه السلطة على اختراق الإنسان ومواجهته ووضعه في أزمة، ولكنّه في النهاية يقدّم له شيئًا جديدًا. هذا يعني أن الشاب يصارع المسيح، يعارضه، يضطهده، ولكن المهم

---

[٢٩] البابا بندكتس السادس عشر، الله محبة، الفقرة ١.

[30] S. Marcianò, *"Non avere paura ... e non tacere". Paolo, il coraggio dell'evangelizzazione*, Lettera Pastorale nell'anno di S. Paolo, Rossano 2008, p. 21.

أن يقيم علاقة معه بأيّ طريقة. لابدّ أن نسلّم هذه العلاقة بصورة مستمرة لقائد، من خلال العزف الأفضل على قيثارته، مثل أورفيوس مع رفاقه البحّارة. مثل فنان مغرم وخلاّق، وليس مثل عامل يكرر دومًا الأشياء ذاتها.

أن أكون مسيحيًا يعني أن أكون "للمسيح"، أن أكون منشطًا مسيحيًا يعني أن المسيح قد سبق وجذبني لأعلن حياته (راجع فيلبي ١٢/٣)، أن أكون منشطًا مسيحيًا للدعوات يعني أن أتأثر بشخص آخر وبغرامه بالمسيح.

إعلان لشخص

الملاحظة الثانية: إن الإعلان الذي نتكلم عنه يتوجه لشخص ولمجموعة، على شرط أن تتكون من أشخاص مستقلين يتلاقون فيما بينهم. لأن كلمة الخلاص بطبيعتها تتوجه لأشخاص، وتبحث عن كلّ شخص، تصل إلى الخروف الضائع وتتأسس على الحجر المرذول، وهي "أصغر حبوب الأرض". يقود المسيح كلّ واحد إلى فرادته الثمينة التي لا بديل لها، وهو المكان الطبيعي لتمييز الدعوة.

فلنكن منتبهين ألاّ نؤخَذ بالهوس الجماعي، بالعمل الرسولي الجماعي فقط، بالتنشئة في مجاميع، أن نكون

رقمًا فقط ونتأثر بالأمور المثيرة. يذكرنا تقليد الكنيسة القديم، على خط العلوم الحديثة، أن الإيمان لا ينمو في الحقيقة دون تدخّل الفرد. فيوكل المشاكل والمخاوف الشخصية إلى أحد، يواجهها ويُعيد معالجتها، فتميّز قصّة كلّ مدعو حضور الله السرّ والمحبّ، إلى أن تلد ذلك الإيمان الذي يصبح ثقة، وشيئًا فشيئًا تلد الدعوة لتكون أقوى من كل خوف.

أنبياء الثقة

لا أريد أن أقع في النهاية في نزعة أخلاقية وأقدّم توصيات عائلية عديمة الأهمية، ولكني أؤمن بصدق أن راعوية الدعوات بحاجة اليوم إلى منشّطين شجعان وواضحين، لأنهم واثقون و"أنبياء ثقة"، كما دعاهم المونسنيور كاستيلاني في ختام مؤتمر الدعوات. لأنه يطلب منهم معالجة الوضع الذي يعيشه الشباب اليوم، كما نعلم جيدًا وكما ذكرنا في هذا التأمل: إذا كان شبابنا اليوم ذوي السراويل القصيرة يعيشون في وضع شاذ وفوضوي، فكم هم بحاجة لكلمة واضحة وشجاعة، بسيطة ومفهومة، صادقة ومعاشة من حياة من يعلنها؟

ولأننا نعيش اليوم في معبد لآلهة كاذبة، لابدّ أن يرنّ إعلان الله الحيّ والحقيقي بصوتٍ عالٍ وواضح من مؤمن يشعر بنفسه محبوبًا بحنان ويضع هذا الحبّ في مركز حياته. لأن شبابنا هؤلاء هم أبناء مجتمع لا يعرف أن يقرر، فمن الضروري أن يكون أمامهم أمثلة جلّية لأشخاص اختاروا الأفضل وهم سعداء، خاطروا بترك كلّ شيء فوجدوا مئة ضعف. لأن مراهقينا غالبًا ما يشعرون بالخيانة من الكبار، حتّى القريبين منهم، ولا ينخدعون ممن يقول لهم إنه وجد الطريق وحقيقة الحياة، ولكنه في الوقت ذاته خائف ومتردد، كسول وأعزل وقلق على نفسه وعلى صحته أكثر من إعلان الخلاص الذي عليه أن يقدمه للجميع. لأن المختارين قليلون واليوم أكثر قلّةً، والأنكى أن يكون من يدعون أيضًا قليلون، أو أولئك الذين يدعون بصوت ضعيف لأنهم خائفون من أن يدعون، أو لا يعرفون أن يرافقون المدعو إلى القرار. فعالمنا يفقد معنى الجمال ونحن نختنق من قمامة القباحة وسقوط المعنى، وكم هناك حاجة لوجود أشياء جميلة وإنسانية غنية، لشباب يمكنهم أن يقولوا لشباب آخرين أن هناك جمالاً لا يُمحى في عمق أعماق الإنسان، لا يستطيع أحد أن يسلبه. لأن هناك العديد من الأغاني فمن

الضروري ألا يكون لمنشط الدعوات أي شك حول نوعية أغنيته الأفضل!

باختصار، تنشيط الدعوات بحاجة اليوم إلى دفعة جديدة حياتية وإنجيلية، إلى ابداع متجدد من أكثر من جهة، لانتباه أكثر نوعية في الكنيسة... أو ربما، بكلمة واحدة، لثقة أكبر في نفسها، في الكنيسة، في الشباب، في الله الطيب. وهي تعرف، عليها أن تعرف، لمن أعطت ثقتها.

الفهرس

مقدمة المترجم	**٣**
مقدمة الترجمة العربية	**٥**
تقديم	**٩**
مقدمة	**١٣**
بلا وصفات	١٣
تأمل ضروري	١٤
الثقة	**١٧**
مكونات وخصائص	**١٨**
واثق من حبّ	١٨
موقف شامل	١٩
أبعد من سيطرة العقل	٢٠
منح أمان وإقامة رهان	٢٠
حرّ وضروري	٢٢
أوجه التشابه والاختلاف، الارتباط والعلاقات	**٢٣**

السرّ ٢٦
الإنسان سرّ ٢٦
سرّ أم لغز؟ ٢٩

المؤمن أمام السرّ ٣٢
حنان الله الأبدي ٣٣
الله يثق بالإنسان ٣٤
حنان الإنسان الروحي ٣٦
فضيلة روحية وليست نفسية فقط ٣٦
فضيلة قوية وليست مجرّد تعبير عن اللطف (أو
البحث عن الألفة الجسدية) ٣٧
في خدمة الحقيقة وليست اشباعًا آنيًا ٣٧
حنان الدعوة (أو حنان منشّط الدعوات) ٣٩
حنان ضدّ الدعوة ٤٢

سرّ الاختيار ٤٤
ثقافة اللاقرار (أو الخوف من الاختيار) ٤٤
عدم الاختيار ٤٥
اختيار توفيقي "الكل يفعل هكذا" ٤٧
اختيار متناقض وغير أمين ٤٨
اختيار متكرر وعقيم ٤٩

اختيار أناني وأعمى ٥٠
اختيار أبله وبغيض ٥٠
العناصر التأسيسية للقرار ٥٢
الرغبة (عنصر تفضيلي) ٥٢
التخلّي (عنصر الإماتة) ٥٥
علاقة مع الماضي (عنصر الوقت) ٥٧
التوجّه نحو المستقبل (عنصر البُعد) ٥٨
منطقة مكتشفة في خطر (عنصر السرّ) ٦٠
نوع من يقرر ٦٣
الفرق عن القرار المسيحي ٦٤
القرار الإنساني ٦٥
القرار المسيحي ٦٧

التربية على القرار ٧٤
أوليسيس وأورفيوس ٧٤
مبدأ عام: تشجيع المسارات الدائرية (الروحية والنفسيـــة) ٧٦
منح الثقة (من المشكلة الدينية إلى النفسية) ٧٧
تقبّل لا مشروط ٧٧
الكلّ في الجزء، قوّة الضعف ٧٩
قراءة السرّ ٨٢

تحويل المخاوف والعوائق (من المشكلة النفسية إلى الدينية) ٨٤
إعلان "شخصي" جدًا ٨٧
إعلان شخص ٨٨
إعلان لشخص ٨٩
أنبياء الثقة ٩٠